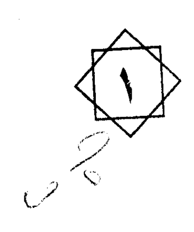


شهيد نهاوند

النعمان بن مقرن المزني

المتوفى سنة ٢١ هـ

تأليف

أحمد عادل كمال

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

سلسلة أعلام الصحابة المحاربين(1)

بيانات فهرسة كتاب

شهيد نهاوند

النعمان بن مقرن المزني

تأليف

الأستاذ، أحمد عادل كمال

جـ1 القاهرة 1427هـ - 2006م

17× 24 سم

رقم الإيداع : 2005/23492

الترقيم الدولي : 3-06-5994-977

- الطبعة الثانية

1427هـ - 2006م

الإخراج الفني: خليفة محمود خليفة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المركز

الحمــد لله رب العالمــين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد النبي العربي الكريم أرسله ربه بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

تُعدّ فترة الفتوحات الإسلامية من أنصع فترات التاريخ الإسلامي بأكمله حيث ظهرت فيها الشخصية الإسلامية بما اتسمت به من صفات وما تميزت بــه مــن قــدرات وبما أسهمت به من فتوحات كان لها أبعد الأثر في نشر الإسلام في شتى البقاع ومختلف الأصقاع. ولعل هذا ما دفع المؤرخون قديمًا وحديثًا بتتبع هذه الحقبة التاريخية الناصعة لمعالجتها ودراستها ولذلك تعددت كــتاباتهم شــرعةً ومــنهاجًا واخــتلفت صحة وأصالة إذ قد ذخرت المكتبة الإســلامية بعدد وافر من المصادر والمراجع التي تناولت هذه الفترة ما بين مجمع لها ومفصل ولا غرو في ذلك.

ومن الجدير بالذكر أن جهود المؤرخين لم تقف في عصر من العصور بالتصــنيف والتألــيف عــن التاريخ الإسلامي بعامة، وعن فترة الفتوحات بخاصة. لذلك فليس من الغريب أن يعّن الأستاذ: **أحمد عادل كمال** بتناول هذه الحقبة بالدرس والتحقيق أملاً في الوصول إلى النتائج الصحيحة التي تعكس هذه الفترة الزاهرة من تاريخ الإسلام.

وقد يتبادر إلى ذهن القارئ –على حسب ما اعتاد من الكتب التي قدمت إلــيه فــي سينين طويلة– أن الكتاب الذي نحن بصدد تقديمه إليه أنه كتاب حكايــات وقصــص عن رجال تلك الفتوح "كالنعمان بن مقرن" و"طليحة بن خـويلد" وغيرهم. لكن بعد أن ينتهي من قراءته يدرك أنه وقف على كتاب يختلف عن غيره في أسلوبه ومنهجه وعن الزوايا التي ارتكز عليها بل وما شُفع به من الخرائط التي تعين على فهم استراتيجية هذه الفتوح العظيمة التي

كان لها أبعد الأثر في نشر الإسلام. - كما قلنا - لذلك فقد انصرف المؤلف في كتابته لإبراز هذه الحقبة العظيمة في ثوب فريد في بابه مركزًا على رجال هذه الفتوح ومتتبعًا سيرتهم الذاتية وبين هذا وذاك يحاول عرض التاريخ الحربي الإسلامي بصورة جديدة تستحق الإعجاب فضلاً عن أنها تكتسب طابع الريادة. وللريادة هنا صعوبات وعقباتها كما أن لها الحوافز والمغريات التي تعين على تذليل الصعوبات وتخطى العقبات ومن ثم استحق المؤلف أن يكون رائداً من رواد كُتاب التاريخ الحربي غير مدافع وفارس من فرسان هذه الحلبة غير معارض في كل ما ألف وصنف وفي جميع ما نقل ودون. ومهما يكن من أمر فإن الأستاذ **أحمد عادل كمال** امتاز بمنهج فريد وأسلوب رائق رشيق. واعتقادنا أن هذا المنهج يتصف بالتجريد والعمق إذ يحاول أن يتخلص من السرد التاريخي لينفذ إلى ما وراءه من فكرة تحكم هذا السرد. كما أنه في ذات الوقت يحاول أن يحيط بجميع جوانب الموضوع وببحث كافة مستوياته وأبعاده. وهو في هذا الصدد يقف عند كل ظاهرة أو حدث يتعلق بها ملاحظاً الصفات المشتركة بين كافة الظواهر والأحداث دون تلك التي تخص بها ظاهرة معينة أو حدث محدد وذلك سعيًا وراء البحث عن الحقيقة المجردة.

كما أن ذلك المنهج يفيد - فيما نظن - في اكتشاف الفراغات التي ما زالت بحاجة إلى تفعيل النقد التاريخي بإذائها وعقد المقارنات معها وفي إعداد المناهج المقننة التي تزداد الحاجة إليها في تلك الآونة.

لذلك فإننا نعيد نشر أعمال الأستاذ أحمد عادل كمال التي تناولت فترة الفتوحات الإسلامية. وقد تجسدت هذه الأعمال في سلسلة أعلام الصحابة المحاربين. وهانحن على موعد لإخراج الجزء الأول من هذه السلسلة لتقدمه إلى القارئ الكريم في طبعة منقحة جديدة تواكب تطورات الطباعة مذودة بالفهارس والخرائط والمراجع التي تعين لمن عنّ له المزيد من المعرفة الرجوع إلى مصادر الكتاب الأصلية.

ويتعرض الجزء الأول من هذه السلسلة إلى شهيد نهاوند النعمان بن مقرن المزني الصحابي الطيب الذي كسب أكبر معركة ضد المجوس وأشدها فانفتحت للإسلام أبواب فارس وما وراءها من أرض المشرق.

والكتاب بعمومه ينقسم إلى أربعة أبواب ينهض الباب الأول منها لمعالجة صحبة النعمان بن مقرن مع رسول الله ﷺ متناولاً فيه إسلامه والغزوات التي شارك فيها بينما ينصرف الباب الثاني بالحديث عن الدور الذي قام به تحت لواء الخليفة الأول أبي بكر الصديق ﷺ مركزًا فيه على حروب الردة.

ويأتي الباب الثالث: فيحدثنا عن النعمان ودوره في الفتوحات الإسلامية في عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ﷺ، وأخيرًا يتناول الباب الرابع دور الرجل في معركة نهاوند الذي كان يحمل اللواء فيها والتي استشهد فيها ثم يعقب حديثه عن نهاوند وما جرى فيها من انتصار واستشهاد بالتطرق إلى ذكر أخبار أهله وإخوته معتمدا في ذلك على ما ذكرته المصادر والمراجع من أخبار عن آل مقرن ومن ذويهم.

ومن هنا نستطيع أن نقول أن طبيعة موضوع الكتاب وأهميته وعناصر الجدة في المعلومات والحقائق التي أتاحتها لنا مصادره قد أسهمت بسهم وافر في أن يأتي تخطيطه وهيكله على النحو الذي تمثل في الأبواب التي تكون منها.

ومن ثم فالكتاب في مجموعه يعد وثيقة تاريخية مهمة سجلت تاريخ الفتوحات الإسلامية الأمر الذي يجعل منه مرجعًا لا غنى عنه للقارئ المتخصص والقارئ المسلم المثقف.

وأملنا أن يلقى الكتاب ما يستحق من اهتمام وأن يجد فيه القارئ ما ينشد من متعة القراءة ولذة الفائدة.

والله من وراء القصد والهادي إلى سواء السبيل

أحمد جابر بدران

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

مقدمة المؤلف

لو أن فلاحًا أميًا فقيرًا مريضا في إحدى قرى أفريقيا رزق بمولود فقيل لــه إن ذلــك المولود سوف يغزو الكواكب ويخضعها لأهل الأرض لما كان ذلــك أكثــر إثارة للدهشة وأبعد عن التصديق مما لو كان قد قيل لعمرو بن مقــرن الأعرابي البدوي من قبيلة مُزَيْنَة –والد النعمان– إن ولده سوف يقود جيشًــا لفتح فارس يدحر جيشها الكبير في معركة ضارية بنهاوند حتى يقال عنها "فتح الفتوح" لا تقوم لدولة الفرس العتيدة بعدها قائمة.

لقد أعددنا بحثنا الذي ضمناه كتابنا "الطريق إلى المدائن" عن إستراتيجية "وتكتــيكات" الفــتح الإسلامي للعراق، ثم بحثنا عن "القادسية" تلك المعركة الكبرى التي انفتح بعدها العراق للغزاة الفاتحين من المسلمين، ثم عن "سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية" لفتوح العراق وفارس. وقد أشرنا في مقدمتنا للطريق إلى المدائن إلى أننا حرصنا لإستكمال البحث على أن نتتبع سيرة كل فــرد ورد ذكــره مــن أعلام الفتح فأمدنا هذا بمادة قيمة عن أبطال الفتوح وأعلامها لفتت نظرنا إلى وجوب تجلية هذه الأسماء وتقديمها إلى أبناء جيلنا. وقــد ذكــرنا أننا ربما وجدنا في المكتبة العربية أشياء عن أبي بكر وعمر وخالد.. ولكننا لا نكاد نجد شيئًا يشبع عن المثنى ابن حارثة الشيباني وجرير بــن عــبد الله البجلــي وعياض بن غنم الفهري والنعْمان بن مُقَرِّن المزني وإخوته والأقرع بن حابس التميمي وزهرة ابن الحوية التميمي.. وغيرهم من الصــحابة أبطال الفتوح الذين كان لهم وزنهم ويمثلون ثقلاً دافعًا في الحركة الإسلامية إبّان انتشارها.

ولقــد ظلــت هذه أمنية تراود النفس ويحول دون إنفاذها مشاغل الحياة وضــعف الجهد حتى أعاننا الله فاخترنا أن نبدأ هذه السلسلة "أعلام الصحابة المحاربــين" بتــرجمة هذا الصحابي الجليل النعمان بن مقرن وإخوته الذين شــاركوه صــحبة خيــر الأنام والأخذ عنه، كما شاركوه جهاده وحروبه ثم ساروا على خطاه بعد أن ستشهد في سبيل الله في صفحات هذا الكتاب حياة

ذلك الرجل القائد وما تميز به من صفات، ومعاركه التي خاضها وما تميزت به حروبه التي استقيناها أساسًا من الأبحاث التي أشرنا إليها ثم أتممناها من خارجهـا بمـا يلزمها من مصادرها. وللأمانة نقول أننا لم نتوسع هنا مثل توسـعنا الذي أتيح لنا في "الطريق إلى المدائن" وفي "القادسية" منعًا للتكرار والتزامًا لحيز معين.

ونحن إذ نقدم النعمان بن مقرّن المزني كقائد جيش في الميدان. قد يتبادر إلـى الـذهن أن الـرجل كان يتصف بالصرامة والشراسة التي تلزم القيادة وتصـاحب الحروب. والحقيقة أنه كان رجلاً طيبًا بكل ما تحمله الكلمة من معنـى. كـان صحابيًا جليلاً من صحابة رسول الله ﷺ، روى عنه الحديث ورواه عـنه التابعون الذين أخذوا عنه، وتميزت في أخلاقيات النعمان إقباله علـى العـبادة وحب المؤمنين ودماثة الخلق ولين الجانب حتى مع الأعداء الكفرة من المشركين والمرتدين والمجوس، وحين قاد النعمان كان له مجلس حرب يستشيره ويأخذ بمشورته.

هذا هو النعمان المجاهد المقاتل القائد الشهيد في سبيل الله.

أحمد عادل كمال

الباب الأول
في صحبة الصحابة

*مزينة

*الرسالة

*إسلامه

*غزوة الخندق.

*حتى فتح مكة

*فتح مكة

*غزوة حنين.

مزينـــــة:

بنو مزينة[1] -قبيلة النعمان- من قبائل معد بن عدنان، وهم بنو عمرو بـــن طابخه بن إلياس بن مضر بن نزار بن عدنان، ومزينة أم ولده، وهي بـــنت كلب بن وبرة ابن تغلب بن حلوان بن إلحاف بن قضاعة، وقيل بنو مـــزينة هم بنو عثمان بن لاطم بن أد بن طابخة. وسواء كانوا هذا أو ذاك فليس لذلك فارق يذكر على القبيلة ولا على أنسابها.

وقد نزلوا جبال الحجاز ناحية البحر الأحمر غربي المدينة حيث حرّة وادي العقـــيق وبـــين المديـــنة ووادي القرى، ومن ديارهم وقراهم فيحة والروحاء "على ليلتين من المدينة بينهما خمسة وسبعون كيلو مترًا" والعَمْق "قـــرب المدينة" والفرُع كما كان من جبالهم آرة وميطان من نواحي الربذة وقـــد كانت قرية غناء من جبال المدينة مقابل الشوران وكان من منازلهم أيضـــا مورقان وقدس أوارة وهما جبلان بحذاء سقيا مزينة. ونهبان وهما جبلان بتهامة يقال لهما نهب الأسفل ونهب الأعلى، وجاوروا في منازلهم تلـــك منازل بطون من بني سليم من بني عدنان أيضًا وبطون أخرى من جهيـــنة وبلى من قضاعة من بني قحطان أخوالهم عن طريق أمهم مزينة. لـــم تكن لهم حواضر وإنما كانوا من البدو، لقلة الحواضر في شبه جزيرة العرب، وكان طريق قريش من مكة إلى الشام وطريقهم إلى المدينة يمران ببعض منازل بني مزينة.

وقـــد حالفت مزينة الأوس وحاربت معها ضد الخزرج يوم بُعاث قبل الهجرة، في حين كانت جهينة وأشجع إلى جانب الخزرج.

---

[1]) بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب – معجم القبائل العربية القديمة والحديثة – معجم البلدان محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية أيام العرب في الجاهلية.

وقـد كانـت مـزينة[1] وهذيل وكنانة وعمرو بن قيس عيلان، كانوا يعبدون صنمهم "سُواع" الذي أقاموه في رُهاط من أرض ينبع، وكان سدنته بنو صاهلة من بني هذيل كما كان لمزينة صنم آخر يدعي نُهم[2].

هذه هي مزينة قبيلة النعمان بن مقرن المزني وإخوته.

الرسـالة:

اخـتار الله رسوله محمدا ﷺ من قريش ليبلغ دعوته إلى الناس. ووقفت قـريش -ألمـع قـبائل العرب- من رسالة الإسلام موقف العداوة الضارية والخصـومة الشديدة. وتمهلت أكثر قبائل العرب تنتظر نتيجة ذلك الصراع الدائـر بين رسول الله ﷺ وصحابته الذين آمنوا به وعزروه ونصروه وبين قـريش، وقليل منها من أقبل على الإسلام في وقت مبكر. ومزينة كانت من ذلك القليل بل لعلها كانت أكثر ذلك القليل الذي ظهر فيه الإسلام وانتشر قبل فتح مكة حتى وجدنا ألفا من مزينة عليهم النعمان بن مقرن في جيش رسول الله ﷺ الـبالغ عـدده عشرة آلاف لفتح مكة، وحتى أننا لا نجد بين غزوات الرسـول ﷺ أو السـرايا التي بعثها لقتال القبائل أي شيء وجهه إلى مزينة على قربها من المدينة. وعن عبد الرحمن بن عوف[3] عن النبي ﷺ أنه قال: "قـريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وغفار وأشجع وسليم أوليائي ليس لهم وليّ دون الله ورسوله".

وليس معنى هذا أن مزينة فتحت أبوابها على مصاريعها لرسالة الإسلام بل لقد وجدنا لها أيضًا من المواقف نقيض ذلك. ففي عمرة الحديبية في العام السادس من الهجرة خرج رسول الله ﷺ من المدينة إلى مكة معتمرًا في عدة مـن أصـحابه بلغـت علـى أرجح روايات ما بين ألف وثلاثمائة إلى ألف

---

(1) جمهرة انساب العرب 492.

(2) جمهرة أنساب العرب 202.

(3) المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية 143/4.

وخمسمائة. ومر في طريقه بالأعراب من بني بكر ومزينة وجهينة فاستنفرهم للخروج معه فأبطأوا عليه وتخلفوا عنه[1].

وفي القرآن الكريم:

﴿ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ۝ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ۝ ﴾[الفتح: 11-12]

قال مجاهد وابن عباس يعني أعراب غفار ومزينة وجهينة وأسلم وأشجع والديل وهم الأعراب الذين كانوا حول المدينة تخلفوا عن رسول الله ﷺ حين أراد السفر إلى مكة عام الفتح بعد أن كان استنفرهم للخروج معه حذرًا من قريش وأحرم بعمرة، وساق معه الهدى ليعلم الناس أنه لا يريد حربًا فتثاقلوا عنه واعتلوا بالشغل[2].

ومرة أخرى في القرآن الكريم:

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ ﴾ [الحجرات: 14].

قال القرطبي[3]: نزلت في أعراب من بني أسد بن خزيمة ثم نقل قول السدي أنها نزلت في الأعراب المذكورين في سورة الفتح أعراب مزينة

(1) إمتاع الأسماع 276.
(2) القرطبي 268/16.
(3) القرطبي 348/16.

وجهينة وأسلم وغفار والديل وأشجع. قالوا آمنا ليأمنوا على أنفسهم واموالهم فلما استنفروا إلى المدينة تخلفوا فنزلت الآية. والمعنى ولكن قولوا أسلمنا أي استسلمنا خوف القتل والسبي وهده صفة المنافقين لأنهم أسلموا في ظاهر إيمانهم ولم تؤمن قلوبهم وحقيقة الإيمان التصديق بالقلب وأما الإسلام فقبول ما أتى به النبي ﷺ في الظاهر وذلك يحقن الدم.

أسلم بجير بن زهير المزني سنة 7هـ فلامه أخوه كعب بن زهير الشاعر المشهور وهجا النبي ﷺ فأهدر النبي دمه، فجاء كعب مستأمنا بعد فتح الطائف ومدح الرسول بقصيدته المعروفة "بانت سعاد" فوهبه النبي ﷺ بردته وبذلك اشتهرت القصيدة بالبردة.

والمرأة التي أرسلها حاطب بن أبي بلتعة بخطابه إلى قريش يحذرها من فتح مكة كانت امرأة مغنية من مزينة ارتدت عن الإسلام وراحت تتغنى بهجاء رسول الله ﷺ[1].

فكانت مزينة وتلك القبائل ممن يعنيهم قول الله تبارك وتعالى:

﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا۟ عَن رَّسُولِ ٱللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا۟ بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَطَـُٔونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ ٱلْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِۦ عَمَلٌ صَٰلِحٌ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾ ﴾[التوبة:120-121]

إسلامه:

(1) إمتاع الأسماع 363.

لم نقف فيما رجعنا إليه على مناسبة إسلام النعمان بن مقرن وإخوته، وذكر ابن سعد في طبقاته أنهم أسلموا في شهر رجب من العام الخامس للهجرة. الثابت الذي لم نجد له خلافًا أن أول مشاهده كانت غزوة الخندق في شهر شوال من العام الرابع[1] لهجرة الرسول ﷺ. ولما كانت آخر معركة كبرى قبل الخندق هي غزوة أحد وقد وقعت في منتصف شهر شوال من العام الثالث ولم يشهدها النعمان، من ذلك نستطيع القول بأن إسلام بني مقرن كان بين شوال العام الثالث وشوال العام الرابع.

وحين أسلم النعمان وإخوته كان إسلامهم ضمن جمع غفير من قبيلته فقد روى عن النعمان[2] أنه قال: "قدمنا على رسول الله ﷺ في أربعمائة راكب من مزينة" ومع ذلك يبدو لنا أن النعمان لم يكن من أوائل بني مزينة إسلامًا وأن من قبيلته من سبقه إلى الإسلام، فقد جاء في ترجمة عمرو بن عوف المزني أنه كان قديم الإسلام، وقد روى البخاري عنه[3] أنه قال: "كنا مع النبي ﷺ حين قدم المدينة فصلى نحو بيت المقدس سبعة عشر شهرًا. ومعنى هذا أن هجرة الرسول من مكة إلى المدينة حدثت وفي بني مزينة مسلمون وهو شيء ظاهر الندرة بين الأعراب.

وكانت هجرة النعمان إلى المدينة في سبعة إخوة له. وقد كان له من الإخوة أكثر من ذلك، وفي فتح الحيرة عام 12هـ كان النعمان أحد إخوة عشرة، وقد استطعنا أن نحصي ممن ورد له ذكر من ذلك البيت الكريم ثلاثة عشر أسمًا هم: النعمان ونعيم وسويد وعبد الله وعبد الرحمن[4] ومعقل وسنان وعقيل وضرار ومرضى وسعيد وعمرو، ومن الجائز أن يكون عمرو هذا

([1]) البخاري 26/16 برقم 3836 باب الغزوات. ولقد ذهب أكثر رواة التاريخ إلى أنها كانت في شوال العام الخامس ولكننا آثرنا الأخذ برواية البخاري باعتباره أوثق.

([2]) أسد الغابة 5261.

([3]) الاستيعاب 509/2.

([4]) يقال كان أسمه عبد عمرو فغيره رسول الله ﷺ إلى عبد الرحمن – الإصابة 5211.

هو عمرو بن النعمان بن مقرن وليس أخاه وأنه حين كان النعمان يكنى أبا عمرو وكان له ولد يدعى عمرو ولكننا لا نستطيع أن نقطع بأن عمرو بن مقرن هو عمرو بن النعمان بن مقرن. وهناك ذكر لسواد بن مقرن، ولكن ابن حجر العسقلاني يذهب إلى أنه من المحتمل أن يكون سواد وسويد شخص واحد. ولكن ما دمنا نجد في أسماء الإخوة الاسم وما يشبه تصغيره مثل: النعمان ونعيم ومعقل وعقيل، فإنه يكون من الجائز أيضًا أن يكون هناك أخَوان سواد وسويد، ومن زاوية أخرى فإننا لا نكاد نجد في الأخبار شيئا عن سواد بما قد يؤيد ما ذهب إليه ابن حجر. ومن روايات وردت نستطيع القول بأن النعمان وسويد وعقيل كانوا من هؤلاء السبعة الذين هاجروا إلى رسول الله ﷺ في المدينة، وقد كان هؤلاء ومعهم نعيم من أكثر الإخوة في بني مقرن ذكرًا في التاريخ.

وقد أخرج صاحب الاستيعاب عن هلال بن يساف أنه قال: "كنا نبيع البر في دار سويد بن مقرن، فخرجت جارية فقالت لرجل منا كلمة فجعل الشيخ فلطمها فقال سويد بن مقرن: أعجز عليك[1] إلا حر[2] وجهها، لقد رأيتني سابع سبعة من إخوتي مع النبي ﷺ ما لنا خادم إلا واحدة فلطمها أحدنا فأمرنا رسول الله ﷺ فأعتقناها".

لقد بحثنا عن أعمار بني مقرن في أي مرحلة من مراحل سيرتهم فلم نهتد إلى شيء. ومن القصة السالفة نجد أن الإخوة السبعة كانوا يسكنون معًا، وما كان لهم جميعًا خادم إلا جارية واحدة، أفلا يعني هذا عدم زواجهم جميعًا حينذاك وهذا يقودنا بحكم بيئتهم إلى صغر سنهم، فلربما كان النعمان بين العشرين والخامسة والعشرين حينذاك وهو أكبر إخوته، وأن ذلك كان أثناء

---

(1) اقسم عليك.

(2) أي حررتها من رقها.

صـــحبتهم لرسول الله ﷺ التي استمرت نحوا من سبع سنوات هي تقريبًا بين العام الرابع والعام العاشر الهجري.

والنعمان وإخوته جميعًا كانوا من جملة الصحابة ومن وجوه مزينة. يقول يوســف بـــن عبد الله في الاستيعاب[1].. "وقد كان عمر بن الخطاب يعرف للـــنعمان ولنعيم موضعهما". وكذلك كان أبو بكر يعرف لهما أقدارهما، وهنا نضيف إليهما عبد الله. ومن وقائع التاريخ التي سوف نعرض لها نستطيع أن نضـــيف إلـــيهم سويدًا أيضًا. ونذهب إلى أن الإخوة بني مقرن جميعًا كانوا رجـــالاً ذوى أقدار. قال عبد الله بن مسعود: "إن للإيمان بيوتًا وللنفاق بيوتًا، وإن بيت بني مقرن من بيوت الإيمان".

ذكـــرنا أن بني مزينة كانوا أعرابًا من أهل البادية ولم يكونوا عربًا من أهل الحضر. وحين كان القرآن الكريم يتناول الأعراب بمثل قوله[2]:

﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۝ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝﴾[التوبة: 97-98]

﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ۝﴾[التوبة: 101]

من بين هذا الذي يقرره القرآن الكريم عن الأعراب نجد أن النعمان بن مقرن وإخوته هم الذين نزل فيهم القرآن الكريم بقوله تعالى:

---

(1) الاستيعاب 528/3.

(2) سورة التوبة 97-98.

﴿ وَمِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرۡبَةٞ لَّهُمۡۚ سَيُدۡخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾ [التوبة: 99] .

ولا يعلم حي من العرب كان لهم مجلس بمدينة الرسول ﷺ غير مزينة. وعلى رواية راجحة أن الإخوة بني مقرن هم البكاءون في[1] غزوة تبوك الذين نزل فيهم قوله تعالى: ﴿ لَّيۡسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرۡضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦۚ مَا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ مِن سَبِيلٖۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوۡكَ لِتَحۡمِلَهُمۡ قُلۡتَ لَآ أَجِدُ مَآ أَحۡمِلُكُمۡ عَلَيۡهِ تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ ۝ ﴾(التوبة:91-92]

ومن بين هؤلاء البكائين أيضًا عمرو بن عوف المزني[2] وعبد الله بن مغفل المزني[3].

قال القرطبي: روى أن الآية نزلت في عرباض بن سارية وقيل نزلت في عائذ بن عمرو وقيل نزلت في بني مقرن -وعلى هذا جمهور المفسرين- وكانوا سبعة إخوة كلهم صحبوا النبي ﷺ. وليس في الصحابة سبعة إخوة غيرهم، وهم النعمان ومعقل وعقيل وسويد وسنان وسابع لم يسم[4]. بنو مقرن المزنيون سبعة إخوة هاجروا وصحبوا رسول الله ﷺ ولم يشاركهم – فيما ذكره ابن عبد البر وجماعة– في هذه المكرمة غيرهم. وقد قيل أنهم

---

(1) إمتاع الأسماع 448.

(2) أسد الغابة 3994.

(3) أسد الغابة 3197.

(4) لم يذكر القرطبي سوى خمسة والذي في القاموس (مادة قرن) وعبد الله وعبد الرحمن وعقيل ومعقل والنعمان وسويد وسنان، أولاد مقرن كمحدث صحابيون.

شـــهدوا الخندق كلهم. وقيل نزلت في سبعة نفر من شتى، وهم البكاءون أتوا رســـول الله ﷺ فـــي غـــزوة تبوك ليحملهم فلم يجد ما يحملهم عليه، فتولوا وأعيـــنهم تفـــيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون، فسموا البكائين، وهم سالم بن عمير من بني عمرو بن عوف وعلبة بن زيد أخو بني حارثة وأبو ليلـــى عبد الرحمن بن كعب من بني مازن بن النجار وعمرو بن الحمام من بني سلمة وعبد الله بن معقل المزني وقيل بل هو عبد الله بن عمرو المزني وهرمـــي بـــن عبد الله أخو بني واقف وعرباض بن سارية الفزاري.. هكذا أسماهم أبو عمر في كتاب الدرر[1] له.. وقال الحسن أيضًا وبكر بن عبد الله، نزلت في عبد الله بن معقل المزني..

ولقد لقي اثنان منهم يامين بن عمير بن كعب فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا إلـــى رســـول الله ﷺ ليحملـــنا فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نـــتقوى بـــه علـــى الخروج ونحن نكره أن تفوتنا غزوة مع رسول الله ﷺ فأعطاهمـــا ناضـــحًا لـــه (بعيرًا يحمل عليه الماء) فارتحلاه وزود كل واحد صاعين من تمر. وحمل العباس بن عبد المطلب منهم رجلين. وحمل عثمان بن عفان منهم ثلاثة[2].

ولقـــد اشـــتهر الـــنعمان بأنه ابن مقرن، ولكن مقرنًا كان جده، أما نسبه فهـــو[3] النعمان بن عمرو بن مقرن بن عائذ بن ميجا بن هجير بن نصر بن جبشية بن كعب بن عبد ثور بن هذمة بن لاطم بن عثمان بن عمرو بن أد بن طابخه. وولد عثمان بن عمرو هم بنو مزينة نسبوا إلى أمهم مزينة بنت كلب بن وبرة. والنعمان يكنى أبا عمرو.

---

(1) القرطبي تفسير سورة التوبة 91-92.

(2) إمتاع الأسماع 448.

(3) يقول ابن حزم: هم بنو مقرن بن عامر بن صبح بن هجير بن نصر بن حبشية.. إلخ. "جمهرة أنساب العرب 202".

وإذا كـنا لم نقف على مناسبة وكيفية إسلام النعمان وإخوته فقد نستطيع الاستعاضة عن ذلك بنظرة إلى الظروف العامة التي تم فيها اعتناقهم لدين الله ففي شوال من العام الثالث للهجرة وقعت غزوة أحد وفيها ثأر المشركون من المسـلمين ثـأرًا ذريعًا ليوم بدر كان له أثره على هيبة المسلمين بين قبائل العرب وبين يهود المدينة. وفي العام الرابع قدم على رسول الله ﷺ رهط من أعـراب عضل والقارة وزعموا أن فيهم إسلامًا وطلبوا منه أن يرسل معهم نفرًا من أصحابه يفقهونهم في الدين ويقرأون عليهم القرآن ويعلمونهم شرائع الإسلام. فبعث معهم ستة من أصحابه -وفي رواية عشرة- فخرجوا حتى إذا كانـوا بماء الرجيع غدروا بهم فقتلوا بعضًا منهم وباعوا اثنين بقيا على قيد الحـياة إلـى كفار مكة فقتلوهما ثأرًا من المسلمين. وتكرر هذا الحادث مرة أخـرى إذ قدم عامر بن مالك سيد بني عامر بن صعصعة إلى المدينة يطلب دعاة إلى نجد، فبعث النبي ﷺ معه أربعين من خيار صحابته، فلما كانوا عند بئر معونة بين منازل بني سليم ومنازل عامر بن صعصعة أحاطت بهم بنو سليم فقاتلهم المسلمون دفاعًا عن أنفسهم حتى قتلوا عن آخرهم إلا واحد ترك وبه رمق.

وقتل عمرو بن أمية الضمري وكان مسلمًا رجلين من بني عامر معهما عهـد مـن رسول الله ﷺ وهو يرى أنه أصاب بهما ثأرًا من بني عامر بما أصـابوا مـن أصحاب بئر معونة، فكان على رسول الله أن يؤدي ديتهما، فذهب في صفر من العام الرابع للهجرة مع نفر من المهاجرين والأنصار إلى يهـود بنـي النضـير يستعينهم في دية ذينك القتيلين. وأظهر اليهود القبول ورسـول الله يجلس إلى جدار من جدرانهم، ولكنهم تآمروا عليه ليقتلوه بأن يلقـوا عليه صخرة من أعلى الجدار، وعلم رسول الله ﷺ بما كان، فقام عن مكانـه راجعا إلى المدينة وتهيأ لحربهم وسار بالمسلمين إليهم فتحصنوا منه فـي الحصـون فحاصرهم خمسة عشر يومًا ثم نزلوا على صلحه على أن

يحقن دماءهم وأن يجلوا عن ديارهم إلى خيبر وإلى أذرعات بالشام وجعل لكل ثلاثة منهم بعيرًا أو سقاء وتركت أموالهم لرسول الله ﷺ.

واشتدت نقمة اليهود على رسول الله ﷺ فخرج نفر من يهود بني النضير فحزبوا الأحزاب من قريش وغطفان من قيس عيلان ببطونها من فزارة ومرة وأشجع ووعدهم أنهم سيكونون معهم عليه وجمعوا لذلك جيشاً تعداده عشرة آلاف يريدون غزو المسلمين في عقر دارهم بالمدينة فكانت غزوة الأحزاب.

من ذلك العرض السريع لأحداث تلك الفترة بين شوال العام الثالث وشوال العام الرابع يتبين لنا أن مركز المسلمين بصفة عامة لم يكن بالذي يشجع أصحاب المطامع على الدخول في الإسلام، إنها فترة امتلأت بالتآمر والغدر من جانب اليهود ومن جانب القبائل العربية وبالحرب السافرة الشعواء من جانب قريش ومن تحزب إليها. في ظل تلك الظروف والأحداث أقبل النعمان بن مقرن وإخوته على الإسلام، لم يكن من سكان المدينة أصلا فكان في غنى عن أن يحشر نفسه في مثل تلك المخاطر المهلكة، فلا غرو أن دلنا إسلام النعمان وإخوته في تلك الفترة بالذات ومن خلال أحداث كتلك عن صدق إيمانه بالله وإقباله الحق على دين الإسلام.

غزو الخندق:

ولنبدأ مع النعمان المجاهد في سبيل الله من حيث بدأ جهاده.. من غزوة الخندق ونتعرف أيضًا بغزوة الأحزاب.

شهر شوال من العام الرابع من الهجرة صادف أوله السادس والعشرين من شهر فبراير 627م. الجو بارد قارس والريح صر تصفر، والدفء في البيوت إلى جوار الأزواج والأبناء فاكهة الشتاء مرغوب مطلوب. وجيش المسلمين ثلاثة آلاف هم كل الصالحين للقتال من الرجال. كذلك كانوا، فقد كان تعداد جيشهم هو تعدادهم أنفسهم إذا استثنينا النساء والشيوخ والأطفال ومن لا يصلح لحمل السلاح.

ولو كان الهم هم الآلاف الثلاثة لهان الأمر، ولكن الواجب أكبر والعبء أثقل من ذلك بكثير، إنه عبء الرسالة التي يذودون عنها حتى يبلغوها للناس كافـــة، ثـــم عبء نسائهم وأطفالهم الذين عليهم أن يدفعوا عنهم ذلك العدوان الـــرهيب الـــذي اجـــتمع له جمع لم يسبق اجتماع مثله في حرب في جزيرة العـــرب. إنهـــم عشـــرة آلاف مقاتل من قريش الكافرة الحانقة ومن حليفتها غطفـــان الطامعة. هذا بخلاف اليهود المتآمرين الرابضين في حصونهم عند أطـــراف المديـــنة يتربصون الفرصة للانتقاض والانقضاض وهذه فرصتهم تلـــوح لهم. ولو قدر لهذا المخطط أن يتم لأضحى رجال المسلمين ذبائح في الطرقات وصبيانهم ونساءهم سبايا يبعن في الأسواق. هذا الحشد كله حركه يهود بني النضير الذين أجلاهم رسول الله بعد نقضهم عهده ومحاولتهم قتله، وقد وعد بنو النضير الأحزاب بمعاونة يهودية من بني قريظة.

مؤامرة يهودية:

بعـــد جـــلاء النضير خرج نفر منهم هم سلام بن أبي الحقيق وحيي بن أخطـــب وكـــنانة بن الربيع بن أبي الحقيق مع نفر من بني وائل حتى قدموا علـــى قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله[1] وأعطوهم هذا الوعد. "إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله".

فاتفقـــوا واتعـــدوا. وخـــرج الوفد اليهودي من مكة إلى نجد حتى جاءوا غطفان من قيس عيلان فدعوهم إلى مثل ذلك وأخبروهم أنهم سيكونون معهم على رسول الله وأن قريشاً قد تابعوهم على ذلك فأجابتهم غطفان كذلك. كانت

([1]) الطبـــري 565/2 عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن يزيد بن رومان مولى آل الزبيـــر عـــن عـــروة بن الزبير. ومن لا يتهم عن عبيد الله بن كعب بن مالك وعن الزهري عن عاصم بن عمر بن قتادة. وعن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم. وعن محمد بن كعب القرظي وعن غيرهم..

هـذه هـي المعركة الوحيدة التي انضمت فيها إلى قريش قبائل أخرى لقتال المسلمين استطاع اليهود أن يجمعوها معها في حلف هدفه إطفاء نور الله.

وخـرجت قـريش من مكة يقودها أبو سفيان بن حرب وخرجت بطون غطفـان من منازلها، بنو فزارة يقودهم عيينة بن حصن، وبنو مرة يقودهم الحارث بن عوف، وبنو أشجع يقودهم مسعود بن رخيلة، ونما علم ذلك إلى رسـول الله ﷺ والمسلمين بالمدينة فأصابهم قلق بالغ. وشاور رسول الله ﷺ أصحابه أيخرج من المدينة لقتال الأحزاب أم يتحصن فيها أم يكون قريبًا منها ويجعـل الجـبل وراء ظهره. كانت هذه الغزوة أول مشاهد سلمان الفارسي وهـو يومـئذ حر قد تحرر من رقه، فبادر يشير على رسول الله ﷺ بحفر الخندق في الجانب المكشوف من المدينة.. قال: "يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصـرنا خندقـنا عليـنا" وكانـت آلام غزوة أحد ما زالت ماثلة فآثر المسلمون الثبات في المدينة على القتال خارجها وقبل النبي ﷺ الفكرة وشرع في العمل فقد كانوا في سباق مع الزمن والأحزاب تسعى على الطريق.

وبـدأ المنافقون يتسللون متذرعين بشتى المعاذير وبغير علم من رسول الله ﷺ ولا إذن منه فيرجعون إلى أهاليهم في ديارهم تاركين الميدان.. كانت الأزمة تمحيصًا للإيمان، فكان الرجل من المسلمين إذا نابته نائبة من الحاجة التـي لا بد منها استأذن النبي في اللحوق بحاجته فيأذن له فإذا قضى حاجته رجـع إلـى مكانه من عمله رغبة في الخير وابتغاء ثواب الله واحتسابًا له، أولئك الذين أنزل الله فيهم:

﴿ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ ﴾[النور: 62] .

الدفاع عن المدينة:

بدأ العمل في حفر الخندق. فركب رسول الله ﷺ فرسًا له ومعه عدد من المهاجـرين والأنصار وارتاد المكان فاختار موضعًا ينزله وضرب فيه قبته

مــن آدم وهو على جبل ذباب في الموضع الذي أقيم عليه بعد ذلك مسجد[1] ذبــاب وجعــل جبل سلع خلف ظهره وخط على الأرض مكان الخندق فكان أمامــه مــن أجم الشيخين طرف بني حارثة حتى بلغ المذاد (أو المراد). ثم قطّعــه إلى قطاعات كل قطاع أربعين ذراعًا لعشرة من المسلمين ليحفروه. ومــن حــيث كان المسلمون ثلاثة آلاف نستطيع القول بأن الخندق بلغ اثني عشر ألف ذراع طولاً أي حوالي ستة كيلو مترات وأخبر النبي ﷺ أصحابه بدنو عدوهم وعسكر بهم في سفح سلع وأراد أن ينشطهم فعمل بيديه في حفر الخندق وحمل التراب في المقاطف فتبادر المسلمون في العمل وقد استعاروا مــن يهــود بــن قــريظة كثيرًا من أدوات الحفر من الفؤوس والجواريف والمقاطــف. ووزع النبي العمل على المسلمين فوكل بكل جانب من الخندق قــومًا يحفرونه. وكان الشباب ينقلون التراب. ويخرج المهاجرون والأنصار بقفف التراب على رؤوسهم ويرجعون بها وقد ملأوها حجارة من جبل سلع للرمــي بها وهي يومئذ أعظم سلاحهم. وكان النبي يحمل معهم التراب وهو يقول:

هــذا الجمــال لا جمــال خبير   هــذا أبــر ربــنا وأطهــر

والمســلمون يترنمون معه بالرجز. وكان الغلمان الذين لم يبلغوا يعملون معه ثم أمرهم فرجعوا إلى أهليهم[2].

أيــن كان صاحبنا النعمان من ذلك؟ تقول الروايات إن المسلمين تنافسوا في سلمان الفارسي فقد كان رجلاً قويًا جسيمًا عارفًا بحفر الخنادق فكل يريده

([1]) مســجد الفــتح يقع شمال المدينة على قطعة من جبل سلع وهو يقع حيث كان الخندق. وعلى مقــربة مــن مسجد الفتح يقع مسجد ذباب على سفح جبل ذباب فيما بين سلع وأحد، وكل ما يؤثر عن هذا المسجد أن رسول الله ضرب قبة له في موضعه على جبل ذباب في غزوة الخندق – في منزل الوحي – محمد حسين هيكل 511.

([2]) إمتاع الأسماع 224.

معه. فقال المهاجرون: سلمان منا. وقالت الأنصار: سلمان منا. فقال رسول الله ﷺ: "سلمان منا أهل البيت". ولقد كان سلمان يعمل عمل عشرة رجال، وجعل له النبي خمسة أذرع طولاً بعمق خمسة أذرع ففرغها وحده وهو يقول: "اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة". قال عمرو بن عوف المزني: "فكنت أنا وسلمان وحذيفة بن اليمان والنعمان بن مقرن المزني وستة من الأنصار في أربعين ذراعًا. ولعلنا نفهم من هذه الرواية أن النعمان كان معدودًا في الأنصار في المدينة.

ويمضي عمرو بن عوف المزني زميل النعمان في حفر الخندق وابن قبيلته – في روايته يقول: "... فحفرنا تحت ذوباب (جبل ذوباب أو ذباب) حتى بلغنا الذري فأخرج الله عز وجل من بطن الخندق صخرة بيضاء مروة فكسرت حديدنا وشقت علينا، فقلنا: يا سلمان ارق إلى رسول الله فأخبره خبر هذه الصخرة، فإما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب وإما أن يأمرنا فيها بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه. فرقى سلمان حتى أتى رسول الله ﷺ وهو ضارب عليه قبة تركية (خيمة) فقال: يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا خرجت صخرة بيضاء من الخندق مردة فكسرت حديدنا وشقت علينا حتى ما نحيك فيها قليلاً ولا كثيرًا فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نحب أن نجاوز خطك.

"فهبط رسول الله ﷺ مع سلمان في الخندق ورقينا نحن التسعة على شفة الخندق فأخذ رسول الله ﷺ المعول من سلمان فضرب الصخرة ضربة صدعها وبرقت منها برقة أضاء منها ما بين لأبتيها (يعني لأبتي المدينة – جانباها) حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون، ثم ضربها رسول الله ﷺ الثانية فصدعها وبرق منها برقة أضاء ما بين لأبتيها حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون. ثم ضربها رسول الله ﷺ الثالثة فكسرها وبرق منها برقة أضاء ما بين لأبتيها حتى لكأن مصباحًا في جوف بيت مظلم، فكبر رسول الله ﷺ تكبير فتح وكبر المسلمون. ثم أخذ بيده سلمان

فرقى. فقال سلمان بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لقد رأيت شيئا ما رأيته قط. فالتفت رسول الله ﷺ إلى القوم فقال: هل رأيتم ما يقول سلمان؟ قالوا: نعم يا رسول الله بأبينا أنت وأمنا قد رأيناك تضرب فيخرج برق كالموج، فرأيناك تكبر ولا نرى شيئًا غير ذلك. قال: "صدقتم". ضربت ضربتي الأولى فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها، ثم ضربت ضربتي الثانية فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور الحمر من أرض الروم كأنها أنياب كلاب، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. ثم ضربت ضربتي الثالثة فبرق منها الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب. فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليها. فأبشروا، يبلغهم النصر، وابشروا، يبلغهم النصر، وأبشروا، يبلغهم النصر..".

ويروى المقريزي أن رسول الله ﷺ جعل يصف لسلمان قصر كسرى الأبيض بالمدائن، فقال صدقت، والذي بعثك بالحق إن هذه لصفته وأشهد أنك لرسول الله. فقال رسول الله ﷺ هذه فتوح يفتحها الله عليكم بعدي. يا سلمان لتفتحن الشام ويهرب هرقل إلى أقصى مملكته وتظهرون على الشام ولا ينازعكم أحد. ولتفتحن اليمن، ولتفتحن هذا المشرق ويقتل كسرى فلا يكون كسرى بعده.

ويكمل عمرو بن عوف المزني روايته "... فاستبشر المسلمون وقالوا الحمد لله، موعد صادق بار وعدنا النصر بعد الحصر. فطلعت الأحزاب فقال المؤمنون: "هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله وما زادهم إلا إيمانًا وتسليمًا". وقال المنافقون: ألا تعجبون يحدثكم ويمنيكم ويعدكم الباطل، يخبركم أنه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم

وأنتم تحفرون الخندق ولا تستطيعون أن تبرزوا[1]. ونزل القرآن: "وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورًا".

حصار المدينة:

وفرغ المسلمون من حفر الخندق في ستة أيام، فلما كمل صارت المدينة كالحصن ورفع المسلمون[2] النساء والصبيان في الآطام، وجعل لواء المهاجرين مع زيد بن حارثة، ولواء الأنصار مع سعد بن عبادة، وكان المسلمون ثلاثة آلاف. وأقبلت قريش حتى نزلت بمجمع الأسيال من دومة بين الجرف والغابة في عشرة آلاف من أحابيشهم (أهل الجبال الواقعة إلى الجنوب من مكة) ومن تابعهم من كنانة وأهل تهامة وأقبلت غطفان ومن تابعهم من أهل نجد حتى نزلوا بذنب نقمي إلى جانب أحد.

وكان حيي بن أخطب مع الأحزاب فخرج حتى أتى كعب بن أسد القرظي صاحب عقد بني قريظة وعهدهم، وما زال به حتى نقض عهد بني قريظة مع رسول الله ﷺ وظهر النفاق في صفوف المسلمين واشتد البلاء على الصادقين منهم. وحاول بعض فرسان قريش اقتحام الخندق ولكن المسلمين صدوهم. حتى أسلم نعيم بن مسعود الأشجعي من بني غطفان الذين جاءوا مع الأحزاب، فقام بدوره المشهور المعروف في السيرة في الوقيعة بين يهود بني قريظة وبين الأحزاب. وفت ذلك في عزائم الأحزاب وقد اشتدت بهم الريح فخلعت خيامهم وقلبت قدورهم فانصرفوا راجعين من حيث أتوا تلك كانت أول مشاهد النعمان بن مقرن المزني وإخوته مع رسول الله ﷺ.

---

(1) الطبري 567/2 عن محمد بن بشار عن محمد بن خالد عن عثمة عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده.

(2) الطبري 570/2 عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق.

بعد ذلك غزا رسول الله ﷺ بني قريظة جزاء لهم على خيانتهم ونقضهم عهدهم فحاصرهم حتى استنزلهم من حصونهم وحكم فيهم سعد بن معاذ فحكم أن يقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى الذراري والنساء.

كـــان فتح بني قريظة في ذي القعدة أو في صدر ذي الحجة ثم انصرف النبـــي ﷺ فأقام بالمدينة ذا الحجة والأشهر بعدها والأخوة المزنيون يشهدون معه هذه الأحداث.

حتى فتح مكة:

العام السادس:

وجاءت سنة ست من الهجرة وبنو مقرن مقيمون بالمدينة مع رسول الله ﷺ والمســـلمين. وفي هذا العام بعث رسول الله بعض السرايا ووقعت بعض الغـــزوات والأحداث على ما هو معروف في السيرة. وفيها خرج رسول الله ﷺ معتمـــرًا العمـــرة التـــي صـــده المشركون فيها عن البيت الحرام وهي المشهورة بقصة الحديبية. وقد استنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب من بني بكر ومزينة وجهينة أن يخرجوا معه وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فأبطأ عليه كثير منهم وتشاغلوا بأبنائهم وأموالهم.

لـــيس بـــين أيدينا ما يفيدنا عن مكان النعمان أو أحد من إخوته من تلك السرايا والغزوات. ولكننا نستطيع دون تكلف أن نذهب مما مر بنا عن عمرة الرســـول والمسلمين أن بني مقرن من مزينة لابد كانوا ممن صحبه ﷺ في عمـــرته. وأيًا ما كان فإننا نستطيع القول أيضًا بأن بني مقرن سواء كانوا أو أحـــد مـــنهم قد شارك في تلك الأحداث أو لم يكن، فمما لا شك فيه أنهم لم يكونوا بمعزل عنها وأنهم بما رأوا من تخطيط الرسول وتصرفه وبما نزل به الوحـــي في تلك المناسبات قد أضيفت إلى خبرتهم في الحرب وفي السياسة وفي الحكم والتشريع أشياء وأشياء.

العام السابع:

ودخلت سنة سبع من الهجرة. وخرج رسول الله ﷺ في شهر محرم إلى خيبـــر لفتح حصونها الواقعة شمالي المدينة على طريق الشام وتصفية بقايا الـــيهودية فـــي شبه الجزيرة. فافتتح حصن ناعم ثم القموص حصن ابن أبي الحقـــيق[1] ثـــم حصن الصعب بن معاذ ثم حصن الوطيح وحصن السلالم.. مجمـــوعة مـــن الحصون القوية وتمّ فتح خيبر في صفر[2]. وعلى أثر ذلك استســـلمت فدك –مستعمرة يهودية أخرى إلى الشمال من خيبر– وعبأ بدون قتال.

وفي هذه السنة بعث رسول الله ﷺ عدة بعوث وسرايا. ثم خرج في ذي القعدة معتمرًا عمرة القضاء مكان عمرته التي صدوه عنها من عامه السابق، وخـــرج معـــه المســـلمون الذين كانوا معه في عمرته تلك ثم انصرفوا إلى المديـــنة في ذي الحجة. واستنادًا إلى ما ذكرنا في خبر العمرة نذهب إلى أن النعمان وإخوته كانوا مع رسول الله ﷺ في عمرة القضاء هذه.

العام الثامن:

انقضى العام السابع وجاء الثامن. وكسابقيه بعث النبي ﷺ عدة سرايا.

فتح مكة:

قريش تنقض عهدها:

أقـــام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد بعث مؤتة جمادي الآخرة ورجب حتى نقضت قريش عهدها معه. فقد كان مما تعاهد عليه معهم بصلح الحديبية أنه "مـــن أحـــب أن يدخل في عهد رسول الله ﷺ وعقده دخل فيه ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه".

([1]) الطبري 9/3.

([2]) الطبري 17/3 عن ابن اسحق.

فـدخلت بنو بكر بن عبد مناف في عهد قريش ودخلت خزاعة في عقد رســول الله ﷺ فلما كانت تلك الهدنة اغتنمها بنو الديل من بني بكر ليثأروا من بني خزاعة لثارات من عدوات كانت بينهما[1].

الرسول يقرر فتح مكة:

وبــدأ رسول الله ﷺ يتجهز سرًا وأغلق المدينة. فكان عمر بن الخطاب يمر بطرق المدينة يطوف عليها ويقول: "لا تدعوا أحدًا يمر بكم تنكرونه إلا رددتموه"، وكان أهل تلك الطرق على الإسلام إلا من سلك إلى مكة فإنه كان يحتفظ به ويسأل عنه.

ولــم يخبر النبي ﷺ بوجهته سوى أبا بكر وأمره أن يكتمه، وأمر الناس بالتجهز للمسير.

فلما اعتزم المسير وعلم الناس بذلك كتب حاطب بن أبي بلتعة إلى قريش يخبــرهم الخبر حتى يكون له عندهم يد وأعطى الكتاب إلى امرأة من مزينة من أهل العرج (على طريق مكة) مولاة لعمرو بن صيفي بن هاشم بن عبد مناف مقابل أجر اختلف الرواة فيه بين دينار وعشرة. وسارت المرأة تتخفى وتتجنب الطرق. وعلم رسول الله ﷺ بخبرها فأرسل في أثرها عليا والزبير حتى أدركاها واسترجعا منها الكتاب. ومضت المرأة المزنية إلى مكة وكانت مغنية فراحت تتغنى بهجاء الرسول وقد ارتدت عن الإسلام.

جيش الفتح:

وأرســل رسول الله ﷺ إلى أهل البادية ومن حول المدينة من الأعراب المسلمين يقول: "من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليحضر رمضان بالمدينة". فقــدمت أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع إلى المدينة وأتت سليم إلى قديد

---

(1) الطبــري 43/3 عن ابن حميد عن سلمة عن محمد بن اسحق عن محمد بن مسلم بن عبد الله بن شهاب الزهري عن عروة بن الزبير عن المسور بن مخرمة ومروان ابن الحكم وغيره.

وعسكر النبي ﷺ ببئر أبي عنبة وعقد الألوية والرايات لجيش بلغ عشرة آلاف ساروا على النحو التالي:

1000 من بني سليم عليهم خالد بن الوليد.

500 من فرسان المهاجرين والأنصار عليهم الزبير بن العوام.

300 من غفار.

400 من أسلم.

500 من بني كعب بن عمرو.

1003 من مزينة عليهم النعمان بن مقرن، ومعهم 100 فرس و100 درع.

800 من جهينة.

200 من كنانة.

250 من بني ليث.

300 من بني أشجع.

4400 من المهاجرين والأنصار.

وهكذا فتحت مكة:

وكان أبو سفيان قد خرج من مكة يستطلع الأمر فجاء به العباس بن عبد المطلب إلى رسول الله ﷺ وقد أمنه، فأسلم أبو سفيان وعاد إلى مكة بأمان من الرسول: "من أغلق بابه فهو آمن ومن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن كف يده فهو آمن".. وانتهى المسلمون إلى ذي طوى فوقفوا حتى تلاحق الناس وأقبل رسول الله ﷺ في كتيبته الخضراء على ناقته القصواء وقد اعتم ببرد من ثياب اليمن موشى مخطط لواه على رأسه وعليه عمامة سوداء ورايته ولواؤه أسود، وأمر الزبير بن العوام أن يدخل من كداء بأعلى مكة. وأمر خالد بن الوليد أن يدخلها من الليط من أسفلها فيمن كان معه من أسلم وقضاعة وسليم ومزينة وقبائل من العرب.

وأمر سعد بن عبادة أن يدخلها في بعض الناس من كداء أيضًا وقيل بل دخلها على بن أبي طالب من هذا الوجه.

وأقــبل أبــو عبيدة بن الجراح فدخلها بين يدي رسول الله ﷺ من أذاخر حتــى نزل بأعلى مكة وضربت قبته هناك. وكان قد أمرهم جميعًا ألا يقتلوا أحدًا إلا أن يقاتلهم وإلا نفرًا قد سماهم. وهكذا تم فتح مكة بغير قتال إلا شيء يسير حدث في قطاع خالد بن الوليد.

غزوة حنين:

وبعــد أن تــم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ فحطمت الأصنام بها وطهر الحــرم منها وبعث البعوث والسرايا للدعوة إلى الله ولتحطيم الأوثان. وأقام بمكة بعد فتحها نصف شهر حتى جاءت قبيلة هوزان وقبيلة ثقيف إلى وادي حنين يريدون حرب النبي فسار إليهم في اثني عشر ألفًا، عشرة آلاف جيش فتح مكة وألفان ممن أسلم من أهلها بعد الفتح[1]. حتى إذا انحدروا إلى وادي حنين دهمتهم هوازن وثقيف من مخابئهم وهم لا يشعرون بوجودهم، فارتدت عامــة المسلمين وانهزموا لولا أن ثبت رسول الله ﷺ في نفر من المهاجرين والأنصــار وأهــل بيــته، فأتــاح للفــارين أن يكروا حتى ردوا المشركين وهزموهم. وفرت فلول ثقيف إلى الطائف فأغلقوا عليهم حصونهم.

غزوة الطائف:

ســار رســول الله ﷺ من فوره من حنين إلى الطائف فأقام على ثقيف نصف شهر يقاتلهم ويقاتلونه من وراء الحصن، وأسلم من حولهم من الناس كلهــم. ثــم رجــع الرسول عنهم دون أن يفتح الطائف، وأهل بالعمرة من الجعرانة في ذي القعدة ثم رجع إلى المدينة في ذي القعدة أو ذي الحجة، فلما بلغها أدركته بها وفود ثقيف جاءت تسلم وتبايع وقد دخلت سنة تسع.

العام التاسع:

---

(1) الطبري 73/3 عن ابن حمدي عن سلمة عن ابن اسحق.

ويعرف بعام الوفود لقدوم وفود القبائل من كل أوب وصوب إلى رسول الله ﷺ بالمدينة ليسلموا. وفي هذا العام غزا الرسول ﷺ غزوة تبوك في زمن عسرة من الناس وشدة من الحر وجدب من البلاد وهو ما يعرف في السيرة بجـيش العسـرة. وقد جد[1] الرسول في السفر وأمر الناس بالتجهيز وحض أهـل الغنـى على الإنفاق لتجهيز المجاهدين وحملهم. وفي هذا الإعداد جاء النفـر السبعة البكاءون إلى رسول الله ﷺ. كانوا أهل حاجة وليس معهم ما يركبون وقد بعدت الشقة إلى تبوك فأرادوا أن يدبر لهم النبي ﷺ الظَّهر الذي يحملهـم فقال: "لا أجد ما أحملكم عليه، تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجـدوا مـا ينفقون[2]" وجمهور المفسرين -كما ذكرنا حين تناولنا إسلام الأخـوة- علـى أن السبعة البكائين هم أصحابنا البررة الأبرار النعمان بن مقـرن المزنـي وأخوته. وقد ورد أن المسلمين حملوهم فشهدوا الغزوة مع رسول الله ﷺ.

وفـي ربيع الآخر بعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب إلى بلاد طئ فأغـار عليهم، وأصاب في السبي سفَّانة بنت حاتم الطائي، وفر أخوها عدي بـن حـاتم وكـان سيد بني طيء. ولكن رسول الله منَّ على سفانة وزودها فعـادت إلى أخيها عدي فحسنت له الإسلام فأقبل على رسول الله ﷺ مسلمًا. وسـوف نجد عديًا مع النعمان بعد ذلك من أبطال حروب الردة وفتح العراق وفارس.

([1]) الطبري 102/3 عن ابن اسحق.

([2]) القرطبي – سورة التوبة 91-92.

الباب الثاني

تحت لواء أبي بكر

*حركة الردة

*مع فتح العراق

*بقاء بالعراق

*إنجاز أعمال عياض

حركة الردة:

ردة بين القبائل:

فـــي شهر ربيع الأول 11هــ روع المسلمون بانتقال رسول الله ﷺ إلى الـــرفيق الأعلى وولى أمر المسلمين من بعده الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

وكان الرسول قد أمر قبل وفاته[1] ببعث جيش أسامة بن حارثة إلى تخوم الشام فبادر أبو بكر بإنفاذ ذلك الأمر في آخر ربيع الأول 11هــ بالرغم من إعتــراض بعض الصحابة وكان إخراج ذلك الجيش إعلامًا يحتاجه الموقف ليعلن أن أبا بكر استمرار بعهده لهدى النبي ﷺ.. لا تغيير ولا تبديل. ثم كان الإختــبار العملي العسير لذلك هو حركة الردة. ففي عام 9هــ جاءت وفود القــبائل من أنحاء شبه الجزيرة إلى رسول الله ﷺ تعلن إسلامها، ولكنها في عــام 11هـــ وبعــد وفاته جاءت وفودها إلى أبي بكر تعلن ردتها كليًا أو جــزئيًا، فمــنهم من منع الزكاة ومنهم من ذهب إلى حد الإدعاء النبوة.. إلا قريشــا وثقــيفًا وأهل المدينة ومن حولها أو جانب منهم. كما ثبت في قبائل المــرتدين بعض من تأصل الإيمان في قلبه فأطلق المرتدون أيديهم في قتلهم والتنكيل والتمثيل بهم.

بنو مقرن يدافعون عن المدينة:

وعــزم أبو بكر رضي الله عنه على مقاومة هؤلاء وإعادتهم إلى طاعة الدولة، ولم يرضى منهم إلا بأن يقروا بأن من قتل منهم فهو إلى النار ومن قــتل مــن المســلمين فهــو في الجنة، وأن يؤدوا ديات من قتلوا وأن يغنم المسلمون ما أخذوا منهم وأن ما أخذ من المسلمين مردود عليهم وأن يخرج المرتدون من ديارهم.

---

(1) الطبري 184/3.

وقـــرر أبـــو بكر انتظار رجوع أسامة. ولكن عبسًا وذبيان عزموا على مزاحفته وخرجوا يريدون غزو المدينة وجيشها مازال بتخوم الشام. حينئذ لم يكن لأبي بكر بد من مبادرتهم قبل رجوع أسامة، فخرج إليهم بمن بقى معه مـــن المؤمنـــين في جمادي الأولى أو الثانية عام 11هـــ. أغسطس/ سبتمبر 632.

وكان على ميمنته بطلنا النعمان[1] بن مقرن المزني وعلى ميسرته أخوه عبد الله بن مقرن وعلى مؤخرته سويد بن مقرن. تدلنا هذه التعبئة للقوة التي تحـــرك بها أبو بكر على أن بني مزينة كانوا هم أساسها وعصبها وعمادها. لـــم نجد بين سطور التاريخ وروايات الرواة ما يشير إلى أي ردة وقعت في مـــزينة وإنمـــا يشرف هذه القبيلة بلا ريب أن تظهر في الجانب الثابت على إيمانـــه وأن تكـــون كافة وحدات أبي بكر لدفع هجوم المرتدين على المدينة يقودها صحابة أجلاء من مزينة هم النعمان وأخواه عبد الله وسويد.

فخرجت هذه القوة –التي لم يحفظ لنا الرواة عددها– وظننا بها أنها كانت قلـــيلة، فـــإن الملابسات كلها والتخطيط الذي اختطه أبو بكر هو تخطيط من أحس بالقلة فأراد تعويض ذلك بالاعتماد على الحركة وعنصر المفاجأة. لذلك خـــرج أبو بكر بمن معه من المدينة في آخر الليل حتى لا تتسرب أخبارهم وســـاروا شـــمالاً نحو عدوهم فبلغوا مرابطهم مع الفجر ما علموا شيئًا ولا ســـمعوا للمسلمين حسًا ولا ركزا حتى أعملوا فيهم سيوفهم وانتهت المعركة قـــبل الشروق لم تستمر أكثر من ساعة إلا بقليل وقد قتل فيها قائد المرتدين حـــبال بـــن خويلد شقيق طليحة[2] وولى المرتدون الأدبار وغلبهم المسلمون علـــى أرضـــهم واتبعهم أبو بكر حتى نزل بذي القصة فترك بها النعمان بن مقرن في حامية ممن معه وعاد هو إلى المدينة.

---

(1) الطبري 246/3 عن السري عن شعيب عن سيف عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد.
(2) الطبري 246/3.

أحقدت هذه العملية القبيلتين عبسًا وذبيان فقام من فيهما من المرتدين على من ثبت على إسلامه فأفشوا القتل فيهم. واستشرت العدوى إلى سائر القبائل ففعلوا كما فعلت عبس وذبيان. وأقسم أبو بكر أن يقتص ممن لطخ يديه بدماء المســلمين في شتى القبائل. أما فلول عبس وذبيان الهاربة فقد انضوت إلى مرتدي بني أسد في بزاخة من مياه نجد يقودهم طليحة بن خويلد متنبئ بني أسد. ومع هذا فقد جاءت إلى أبي بكر بالمدينة زكاة من ثبت على إسلامه من القبائل مع رجوعه إلى المدينة.

أحد عشر جيشًا لقمع الردة:

ورجــع أسامة وجيشه بعد أربعين يومًا أو سبعين على خلاف بين الرواة فأبقــاهم أبو بكر بالمدينة أيامًا يريحون أنفسهم ودوابهم ثم خرج أبو بكر في جنده الذين خرجوا معه إلى ذي القصة والذين كانوا على الطرق إلى المدينة يحمونها فقال له المسلمون: "ننشدك الله يا خليفة رسول الله أن تعرض نفسك، فإنك إن تصب لم يكن للناس نظام، ومقامك أشد على العدو فابعث رجلاً، فإن أصــيب أمرت آخر". ولكن أبا بكر ضرب لهم أروع المثل فقال: لا والله لا أفعل ولأواسينكم بنفسي. فخرج في تعبئته التي كان عليها والنعمان وعبد الله وســويد علــى ما كانوا عليه حتى نزل على أهل الربذة بالأبرق وكانوا من المــرتدين القــريبين مــن المدينة من عبس وذبيان فهزمهم، وأخذ الخطيئة الشاعر أسيرًا وأقام أبو بكر على الأبرق أيامًا، وقال: "حرام على بني ذبيان أن يتملكوا هذه البلاد إذ غنمناها الله" وأجلاهم عنها وجعلها لخيول المسلمين ترعى بها ثم جعلها لصدقات المسلمين.. ولعله استغل هذه الفترة في التفكير والتدبير والإعداد الإداري، ثم عقد أبو بكر أحد عشر لواء بعث بها في نحور المــرتدين في شتى أرجاء شبه الجزيرة فكانت جيوش قمع الردة على النحو التالي:

1- خالد بن الوليد إلى طليحة بن خويلد في بني أسد ومن انضم إليهم من عبس وذبيان. فإذا فرغ منه فإلى مالك بن نويرة صاحب ردة بني تميم.

2- عكرمة بن أبي جهل إلى مسيلمة الكذاب في اليمامة.
3- شرحبيل بن حسنة في إثر عكرمة ولنفس هدفه.
4-طريفة بن حاجز إلى بني سليم ومن معهم من هوازن.
5- عمرو بن العاص إلى قضاعة ووديعة والحارث.
6- خالد بن سعيد إلى مشارف الشام.
7- العلاء بن الحضرمي إلى البحرين.
8- حذيفة بن محصن الغلفاني إلى دبا بعمان.
9- عرفجة بن هرثمة إلى أهل مهرة.
10- المهاجر بن أبي أمية إلى الأسود العنسى بصنعاء ثم إلى حضرموت.
11- سويد بن مقرن المزني إلى تهامة اليمن.

عمليات الجيوش الأربعة الأول:

تجمع الجيش الأول في ذي قصة خارج المدينة على بريد منها نحو نجد، هذا الجيش بلغ عدده أربعة آلاف أقلهم من المهاجرين وكان فيهم من الأنصار ما بين أربعمائة إلى خمسمائة في حين كان أكثره من القبائل القريبة من المدينة بعضهم من كنانة. وبحكم من تجمع فيه ومواطنهم نذهب إلى أنه أحتوى على كثير من مزينة وقد كان في مقدمتهم بطبيعة الحال الأخوة أبناء مقرن، وعقد أبو بكر لواء الجيش وجعل قيادته إلى سيف الله خالد بن الوليد.

وهذه هي المعركة الكبرى الثانية التي يعمل فيها النعمان وإخوته تحت لواء خالد بعد فتح مكة. ونعتقد أنه منذ ذلك الحين وقد لازم النعمان وإخوته خالدًا في عمليات قمع الردة حتى اكتسحوا العراق مع مطلع العام التالي.

ردة بني أسد[1]:

تجمعـــت جمـــوع طليحة بن خويلد متنبئ بني أسد في بزاخة من مياههم وانضـــمت إلـــيه فلول عبس وذبيان الذين هزمهم أبو بكر، كما أنضوى إليه بطـــنان كبيـــران من طيء هما جديلة والغوث، ولكن عدي بن حاتم الطائي اســـتطاع أن يثنيهما عن ردتهما وأن يضمهما إلى قوات خالد، وقد كانوا ألفا كلهم من الفرسان فصار جيش خالد خمسة آلاف. ثم انضم إليه عدد من قبيلة سليم.

واجـــتمع لطليحة جيش يزيد على جيش خالد بألف مقاتل والتقى الجيشان ودارت بيـــنهما معـــركة عنـــيفة في بزاخة انهزم فيها طليحة هزيمة منكرة فامتطـــى فرسه وحمل معه امرأته وانطلق هاربًا إلى النقع على تخوم الشام. وأقـــام خالـــد بالبزاخة شهرًا يتتبع الفارين من الذين مثلوا بالمسلمين ويقتص مـــنهم، فمن أحرق مسلمًا أحرقه، ومن رضخ مسلمًا بالحجارة رضخه ومن رمى مسلمًا من رؤوس الجبال رمى به وهكذا.

ولمـــا رأى المرتدون من بني عامر وبني سليم وهوازن ما حل بطليحة وجمعه سارعوا بالعودة إلى الإسلام ونبذ الردة. بينما ذهب بعض المؤرخين إلـــى أن الجيش الرابع بقيادة طريفة بن حاجز قاتلهم وهزمهم. وكان لانتهاء ردة هؤلاء أثره على طليحة نفسه بعد فراره فأسلم هو الآخر وخرج نحو مكة معتمـــرًا ثم مر بالمدينة في عهد عمر فبايعه ومكث في داره في بزاخة حتى خـــرج منها إلى العراق غازيًا مجاهدًا في سبيل الله في عهد عمر وقد حسن إسلامه وسوف نجده يعمل تحت قيادة النعمان بن مقرن في معركة نهاوند في فتح فارس عام 19هـــ 640م.

---

(1) الطبـــري 253/3 عن عبيد الله بن سعد عن عمه عن سيف والسري عن شعيب عن سهل بن يوسف عن القاسم بن محمد وبدر بن الخليل وهشام بن عروة.

بعد ذلك اتجه خالد بجيشه نحو بني تميم فوجدهم قد انفضوا ورجعوا عن ردتهـم فسار نحو بني حنيفة حيث دارت أعنف معارك الردة، واستشهد من الصـحابة من المهاجرين والأنصار وقراء القرآن جمع كبير وقتل من أهل المديـنة وحدها 360 بينما قتل من بني حنيفة حوالي عشرين ألفًا من بينهم مسـيلمة الكـذاب. وبالرغم من أن النعمان وإخوته كانوا في جيش خالد بن الوليد فإن ما بين أيدينا من روايات لا تذكر شيئًا محددًا عنهم في هذا الشأن.

حركة الردة الأخرى:

كانـت ردة مسـيلمة هـي كبرى حركات الردة وبالقضاء عليها انتعش المسـلمون وانتعشـت آمـالهم. واستطاعت سائر جيوش أبي بكر أن تحقق أهـدافها فانتهت ردة قبائل الشمال، وقضى الجيشان الثامن والتاسع على ردة عمان ومهرة كما اغتيل الأسود العنسى صاحب ردة صنعاء وانتهت ردتها، وكـذلك ردة حضرموت، هذه الحركات كانت بعيدة عن مجال نشاط النعمان وإخـوته، ولذلك لم نسهب في تفاصيلها. أما ردة تهامة اليمن التي وجه إليها أبو بكر الجيش الحادي عشر بقيادة واحد من الأخوة هو سويد، فلا نكاد نجد تفاصـيل أخـرى عن ذلك الجيش، في حين نجد روايات أخرى عن القضاء علـى ردة الأخابث من عك بتهامة اليمن ليس فيها أي ذكر لسويد بن مقرن فـي حين أنه من المفهوم أن الأخوة المزنيون كانوا في الجيش الأول جيش خالـد حتـى ليلقـي ذلك كله ظلاً من الشك على صحة رواية جيش سويد بأسرها.

بقـيت نـبذة عـن ردة البحـرين التي تولى القضاء عليها العلاء[1] بن الحضـرمي بالجيش السابع وهي التي كان استطراد قمعها فتحًا للعراق وقد كان بنو مقرن في جيش فتح العراق. فقد قاد العلاء جيشه فاجتاز به نجد ثم الدهـناء إلـى هجـر حـيث جمع الحطم بن ضبيعة مرتدى بكر بن وائل.

---

(1) الطبري 3/301 – 313.

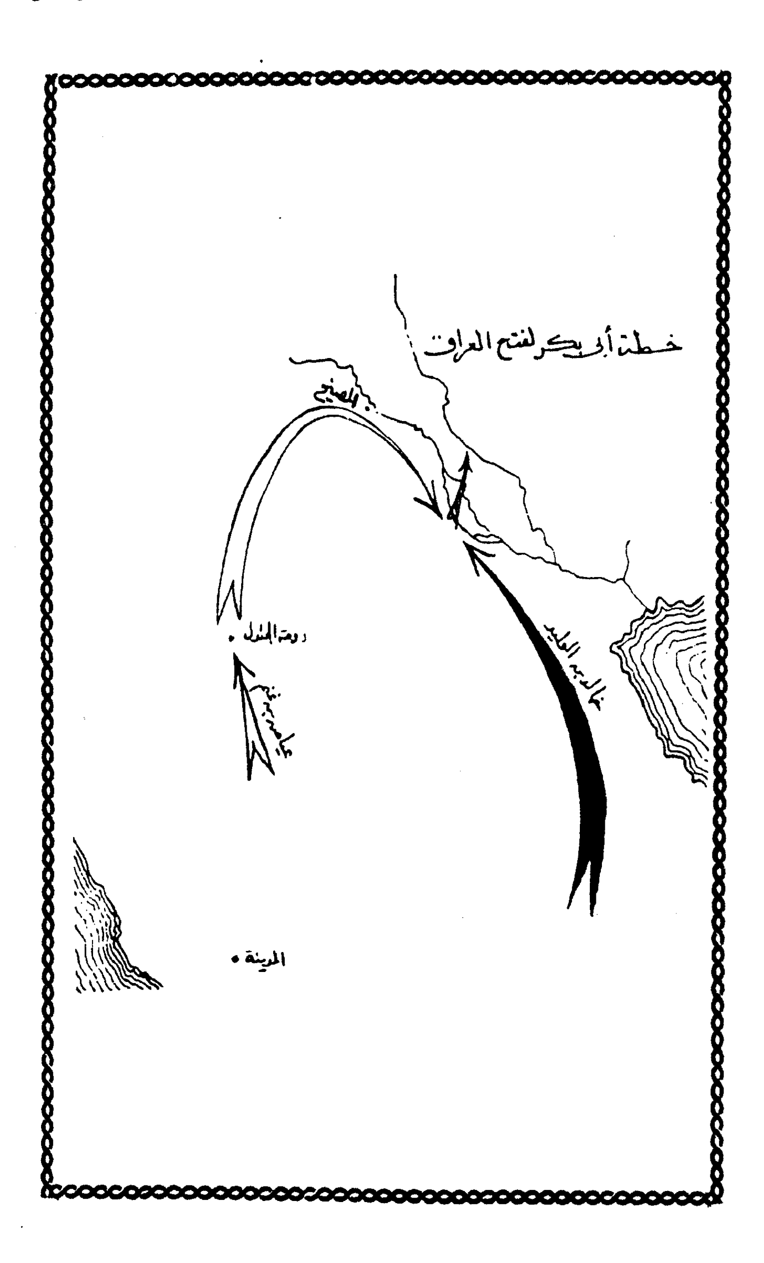
واستطاع العلاء أن يقضى على الحطم وجمعه في معركة ليلية وفرت الفلول المنهزمة إلى جزيرة دارين بالخليج العربي فتبعهم إليها. وقد أعانه عتيبة بن النهاس العجلي والمثنى بن حارثة الشيباني وخصفة التيمي وعامر بن عبد الأسود في أقوامهم من قبائل بكر بن وائل فأخذوا الطرق على المرتدين. واقتحم العلاء بن الحضرمي جزيرة دارين على من حصر نفسه بها من المرتدين فاستأصل شأفتهم.

مع فتح العراق[1]: استراتيجية أبي بكر:

ذكرنا عند تعرضنا لعمليات الجيش السابع في البحرين أن العلاء بن الحضرمي استعان بالمثنى بن حارثة في قطع الطريق على المرتدين من بني ربيعة. ونضيف أن المثنى سار في مطاردته لهم حتى دخل جنوب العراق وهو يومذاك تابع للإمبراطورية الفارسية الساسانية. فلما انتهت حروب الردة قدم المثنى المدينة على أبي بكر وأقنعه بفتح العراق. كان خالد بن الوليد حينذاك قد فرغ من القضاء على ردة بني حنيفة وكان مازال باليمامة يستجم، فكتب أبو بكر يعهد إليه بمهمة فتح العراق وأن لا يستفتح بعناصر مكرهة على الحرب، وإنما جعلها تطوعًا، وسمح لمن أراد من جيش خالد بالعودة أن يعود. وكتب في الوقت نفسه إلى عياض بن غنم وكان على قوات أخرى من جيوش قمع الردة بنفس المعنى. وقسم أبو بكر الاختصاصات بين الجيشين وحدد لكل جيش مهمته بحيث يدخل خالد العراق من الأبلة "قريبًا من موضع البصرة" بجنوبه ويتجه نحو الحيرة، وأن يفتح عياض دومة الجندل ثم يبدأ بغزو العراق من المصيخ بشماله ويتجه نحو الحيرة أيضًا. فمن سبق منهما إلى الحيرة كان أميرًا على صاحبه، فيكون أحدهما قاعدة متقدمة بالحيرة بينما ينطلق الثاني في عبور الأنهار –الفرات ودجلة وما تشعب منهما– نحو المدائن.

---

(1) التفاصيل الكاملة لعملية فتح العراق وخرائطها التفصيلية في "الطريق إلى المدائن".. للمؤلف.


خطة أبي بكر لفتح العراق
دومة الجندل
خالد بن الوليد
المدينة

جيش الفتح:

سـمح كل من خالد وعياض لمن رغب ممن معهما في الرجوع، فرجع أهـل المدينة وما حولها ونقصت قواتهما حتى بقي مع خالد ألفان فقط، وهنا نعتقد أن بني مزينة كانوا ممن حول المدينة الذين رجعوا من جيش خالد إلى مواطـنهم فلـم نـر لمزينة ذكر في المرحلة التالية من بدء الفتوح، غير أن الإخـوة بني مقرن كانوا من المجاهدين الباقين مع خالد في جيشه. ومنع أبو بكر كل من سبقت له ردة أن يساهم في الفتح، ولكنه أمر القائدين أن يستنفرا من ثبت على إسلامه بعد وفاة رسول الله ﷺ. ونزل خالد النباج وهو موضع لبكر بن وائل بين اليمامة وموضع البصرة بينه وبين اليمامة أربعة أيام وعلى عشـرة مراحل من البصرة. ثم بدأ عملية حشد سريعة لمن ينطبق عليه أمر أبـي بكر حتى صار معه ثمانية عشر ألفًا لا نكاد نجد بينهم من مزينة سوى النعمان بن مقرن وإخوته الأبرار.

معركة كاظمة:

نفـذ خالـد أمـر أبي بكر فاتجه نحو الأبلة وهي على شط العرب على حوالـي عشـرين كيلو مترًا من موضع البصرة ولم تكن البصرة قد أقيمت. وقبل أن يبرح خالد النباج، أرسل إلى أمير الأبلة الفارسي هرمز يدعوه إلى الإسـلام أو الإقـرار بالجـزية أو الحرب. ثم كان تقدم خالد سريعًا خاطفًا ومفاجئًا لهرمز الذي كانت آخر أخبار عنده عن العرب أنهم في حرب أهلية شاملة غمرت كل جزيرتهم "الردة" فكتب هرمز إلى الملك شيرويه بن كسرى بالمـدائن يخبـره بزحف خالد نحوه ثم خرج مسرعًا في فرسانه حتى التقى بخالـد في كاظمة وهي ماء عذب على ساحل الخليج العربي يبعد 88 كيلو مترًا عن موضع البصرة على الطريق منها إلى البحرين –وتعرف اليوم باسم الجهـراء وقـد ابتعدت عن الساحل بحكم ما يترسب عليه عامًا بعد عام من طمي دجلة والفرات– وقد سبق هرمز إلى الموقع فحاز الماء ونزل المسلمون علـى غيـر ماء، فقال لهم خالد: "ألا انزلوا وحطوا أثقالكم ثم جالدوهم على

المـــاء فلعمــــري ليصيرن الماء لأصبر الفريقين وأكرم الجندين". وكان جند هرمـــز قـــد اقتـــرنوا بالسلاسل حتى لا يفروا وبذلك عرفت المعركة بذات السلاســـل وبنـــى هرمز خطته على الغدر بخالد فخرج بين الصفين ونادى: "رجل لرجل.. أين خالد؟" فخرج إليه خالد وما أن بدأت المبارزة بينهما حتى هاجمه خالد واحتضنه فهجم جند هرمز وأحاطوا بهما، حينئذ قاد القعقاع بن عمـــرو المســـلمين وشـــن هجـــومهم حتى كشفهم عن خالد فإذا به يجالدهم ويـــبارزهم وقد قتل هرمز. وعمد الفرس نحو الفرار والمسلمون يطاردونهم إلى الليل وقد أفلت قباذ قائد ميمنتهم وأنوشجان قائد ميسرتهم.

ونادى خالد بالرحيل في نفس اليوم حتى نزل موضع الجسر الأعظم من البصـــرة وكان بها سويد بن قطبة الذهلي في جماعة من قومه يغيرون على الأراضـــي الخاضعة لحكم فارس كما كان المثنى يفعل بجهة الحيرة، وكان الفـــرس قـــد أعـــدوا قوة لمهاجمة سويد غير أنهم لم ينفذوا هجومهم بسبب وصول خالد وتعزيز قوات المسلمين فاعتصمت القوة الفارسية بالأبلة. ورأى خالد أن مهاجمته لهذه القوة وهي متحصنة في الأبلة سوف يكلفه كثيرًا. فآثر اســـتدراجها إلى خارجها، فخرج بجيشه نهارًا على مرأى من الفرس واتجه نحـــو الحيرة وترك سويدًا في القلة التي كانت معه، غير أنه ما إن بدأ الليل يسحب رداءه، حتى عاد خالد بجيشه إلى عسكر سويد دون أن يشعر الفرس بذلك في الوقت الذي عزم الفرس فيه على مهاجمة سويد في الصباح التالي. فلمـــا خـــرجوا إليه صباحًا وقد صفوا صفوفهم للمعركة ورأوا كثرة من في معسكره انكسرت معنوياتهم ولمح خالد ذلك فأصدر أمره: "إحملوا عليهم فإني أرى هيـــئة قـــوم ألقى الله في قلوبهم الرعب". فحمل المسلمون عليهم فقتلوا مـــنهم من قتلوا وألقوا طائفة منهم في نهر شط العرب فغرقوا، ثم فتح قرية الخـــريبة وكانت من المواقع الحربية للفرس وسبى من بها واستخلف عليها شـــريح بـــن عامـــر، وبعـــث المثنـــى بن حارثة في آثار المجوس الفرس لمطاردتهم. وهنا نجد أول ذكر في فتح العراق خاص بالأخوة المزنيين، فقد

أرسل خالد معقل بن مقرن المزني إلى الأبلة فجاءها وجمع مالها وسبيها في محرم 12هـ ــ إبريل 633[1].

معركة المذار:

واكتشــف المثنى في مطاردته فلول المعركة اقتراب تحرك ساساني قادم مــن المدائن مددًا لهرمز بناء على رسالته إلى شيرويه يتحرك على الساحل الشرقي لدجلة ويقوده قارن بن قريانس. وتوقف قارن بالمذار يضم إليه فلول ذات السلاسل والمعركة التي تلتها. فتحرك خالد نحو المذار وهو على تعبئة كاملـــة واستعداد للالتحام فور ظهور العدو. والتقى الجيشان بالمذار وكانت النتــيجة قــتل قـــارن قائد الفرس وقباذ وأنوشجان قائدي الميمنة والميسرة وثلاثين ألفًا من العجم وفرار الباقين عراة وأشباه عراة.

حماية المؤخرة:

كانت خطة الحملة أن تتقدم على محور الأبلة الحيرة وبذلك أمر أبو بكر والآن يـــريد خالد أن يعود إلى ذلك الخط وهو يرى احتمال أن يبعث الفرس بقوات أخرى من جهة الشرق إلى قطاع الأبلة فتهدد مؤخرته أو أجنابه وهو يتقدم نحو الحيرة. ولذلك أراد أن يؤمن سلامة قواته في تقدمها فترك حاميات مناسبة تجاه كل مدخل من مداخل تلك المنطقة.

فكان سويد بن قطبة الذهلي على ناحيته من منازل بني ذهل تجاه موضع البصرة.

وكان قطبة بن قتادة السدوسي على ناحية أخرى بتلك التخوم.

وكان شريح بن عامر من هوازن على الخريبة جنوبي موضع البصرة.

هـــذه الحاميات كانت أشبه بنقط الحدود تشرف على منافذ المنطقة وينظر بعضـــها إلى بعض وتنتهي قيادتها جميعًا إلى بطل من أبطالنا هو سويد بن مقــرن المزني الذي أمره خالد على جمع الجزية وأمره بنزول الحفير وهي

([1]) يرجع إلى الطريق إلى المدائن 220.

موقـــع متوســـط يقع خلف تلك الحاميات من جهة الصحراء ليجعلها مركزًا للقيادة بهذا القطاع ومهمته حماية ظهر جيش المسلمين الذي يقوده خالد نحو الحيرة، وأمره خالد ببث عماله وأطلق يده في الجباية.

ســـويد بن مقرن –كي لا ننسى– هو أيضًا الذي جعله أبو بكر رضي الله عنه على مؤخرة القوة التي دهم بها مرتدي عبس وذبيان في ذي قصة حين أرادوا مهاجمـــة المدينة، كما جاء ذكره قائدًا للجيش الحادي عشر لقمع ردة تهامة اليمن.

ولا شـــك أن اختـــيار خالد لسويد –من بعد اختيار أبي بكر له في مهمة مماثلة في العام السابق يؤكد تزكية هذا الصحابي الجليل في المجالين الحربي والإداري، فقد كانت مهمته حربية مالية معا تستدعي من القائم بها أن يكون أهـــلا لقيادة قوة حربية –أغلب ظننا أنها كانت صغيرة– تقوم على مشارف ذات خطـــورة يمكـــن أن تكون مصدر تهديد لجيش غاز، وأهلا كذلك للقيام بعمليات جباية الجزية أمينًا على ذلك.

انتهينا في "الطريق إلى المدائن"[1] إلى أن القبيلة كانت وحدة حربية في الميدان يقودها واحد منها غالبًا، كما وأننا لاحظنا أن للصحابة من المهاجرين والأنصار وضعًا خاصًا فلم تكن لهم دائمًا في الفتوح وحدات خاصة بهم من قـــبائل وإنما كنا نجدهم في القيادات غالبًا. ولقد مر بنا أنه لم يكن في جيش خالـــد عدد يذكر من مزينة، فضلاً عن أن قيادة سويد بن مقرن بالحفير إنما كانـــت علـــى حامـــيات من ذهل وسدوس وهوازن، وبذلك كان سويد قائدًا لحامـــيات المؤخـــرة لكفاءته وشخصيته وصحبته وليس لقبيلته. يؤيد ذلك أن إخوته لم يتركوا معه في الحفير وإنما كانوا مع خالد في تقدمه وخاضوا معه معاركه حتى الحيرة وسيرد ذكرهم هناك.

---

(1) ص22-26.

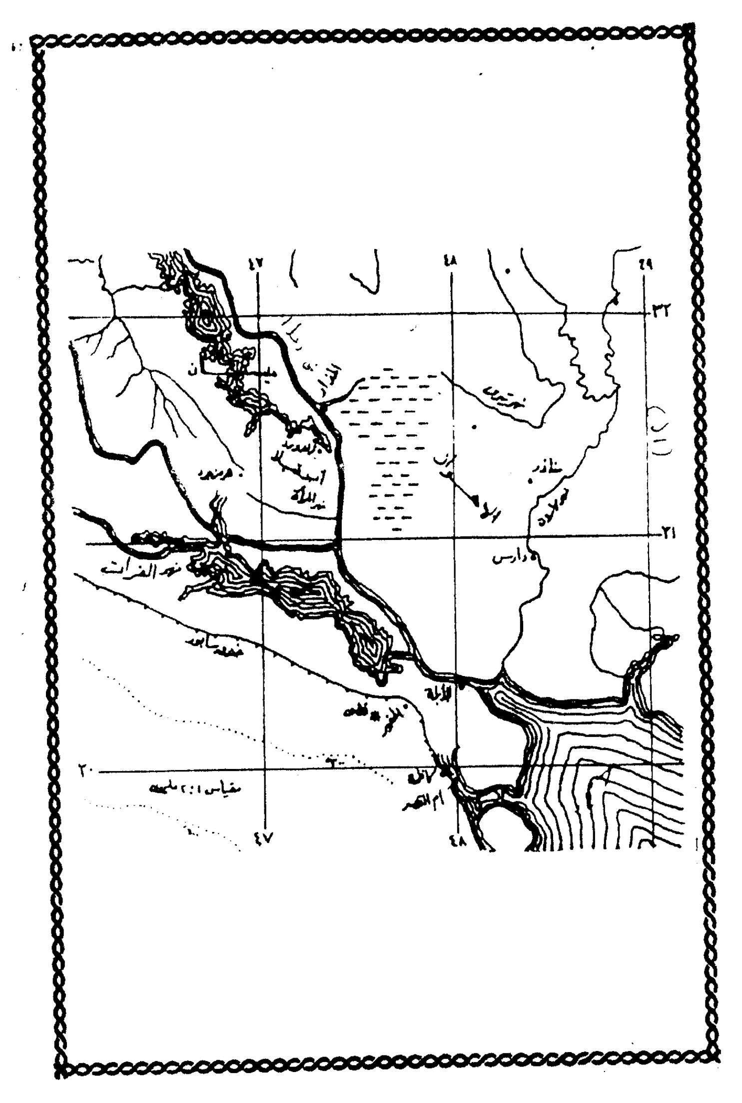
معركة الولجة:

مــا أن بلغــت أخــبار تلــك الهزائم إلى المدائن حتى بعثت جيشًا بقيادة أندرزغر وجيشًا آخر في إثره بقيادة بهمن جاذويه. وتقدم أندرزغر حتى عبر الفرات إلى موضع بالصحراء يعرف بالولجة، وانضمت إليه هناك حشود من العــرب الموالــين للفرس فعزم على خوض المعركة – هذا بينما كان بهمن جاذويــه يتجه بجيشه رأسًا نحو خالد في المذار. وقدر خالد موقفه فرأى أنه ســوف يقع بين فكي كماشة إذا هو بقى بالمذار. فرحل بجيشه وعاد أدراجه جــنوبًا حيث ترك سويد بن مقرن وحامياته وأمرهم بالحذر وترك الاغترار، ثــم اتجــه نحو الولجة فوجدها صحراء منبسطة لا تحوطها ظواهر طبيعية، فأعــد لهم كمينًا اعتمد فيه على أسلوب التطويق المزدوج واستطاع أن يوقع الفــرس ومن ناصرهم من العرب فيه فأوقع بهم الهزيمة وفر اندرزغر إلى الصــحراء حتــى مات عطشًا. كانت هذه الموقعة في 22 صفر 12هـ– 3 مايو 633م.

نهر الدم:

وقعــت هــذه المعركة بين خالد والجيش الثاني الذي كانت قيادته لبهمن جاذوبه، غير أن بهمن عاد إلى المدائن لمقابلة الملك فوجده مريضًا فبقى معه واستخلف على جيشه جابان وأمره بالتقدم. هذا في حين راح العرب الموالون للمجــوس يــتجمعون لخــوض معركة ثأريه لما أصابهم من المسلمين يوم الولجة، وانضم هؤلاء إلى أولئك. والتقى خالد بجموعهم في أليس على نهر الفــرات، وكانــت مقاومــتهم أشد مما كان في أي معركة سبقت لما كانوا يــتوقعون مــن وصول إمداد مع بهمن جاذويه حتى نذر خالد: "اللهم أن لك عليّ إن منحتنا اكتفاهم ألا أستبقى منهم أحدًا قدرنا عليه، حتى أجرى نهرهم بدمائهم". واستجاب الله لدعاء خالد فوفى خالد نذره وأقبلت فرسان المسلمين بأفواج المجوس مستأسرين يسوقونهم سوق الماشية ويضربون أعناقهم على النهر.

يقــول الــرواة أن قتلى المجوس ومن والاهم من العرب بلغت في أليس سبعين ألفا أكثرهم من أمغيشيا وقد كانت مدينة قريبة.



الطريق إلى الحيرة:

إلى هنا وقد وضح للعجم أن هجوم خالد يستهدف الحيرة بالذات ولعل هذا لم يكن واضحًا لهم من قبل. وكان مرزبان الحيرة "حاكمها" مجوسيًا من قبل فارس. فأعد عدته وجمع جنده وتهيأ للحرب. ونقلت عيون المرزبان إليه أن خالـدًا يجمـع سفن الفرات في أمغيشيا ليحمل عليها جنوده ذلك أن المنطقة مليئة بالأنهار والقنوات والبطائح والمستنقعات وأن السير على الأرض عسير وفيضان الربيع يغرقها فيشق سير الإبل عليها إن لم يكن مستحيلاً فأمر ابنه بسـد الفرات حتى يمنع جريان الماء فيه وفتح للمياه سبلاً أخرى تتدفق فيها، وجعل معه قوة من الفرسان لحماية هذه العملية الهندسية.

وفوجئ المسلمون بسفنهم تجنح في النهر وعرفوا السبب، فخرج خالد من فوره في غارة بالخيل حتى دهم ابن المرزبان وأباد من معه وأعاد المياه إلى مجاريهـا واستمر في غارته قبل أن تسبقه الأخبار حتى نزل بين الخورنق والنجف من أرض الحيرة. وما أن علم المرزبان بذلك حتى انسحب بعسكره إلـى مـا وراء الفـرات دون قتال. وتتابعت قوات خالد حتى نزلت الحيرة وحاصرت حصونها.

سقوط الحيرة:

تقـدم خالد بجيشه من الخورنق إلى حيث كان معسكر المجوس فنزل به وتحصـن أهـل الحيـرة في حصونهم وكانوا من نصارى العرب الموالين للمجوس العجم، وكانت حصونهم أربعة فقسم خالد قواته لحصارها. فحاصر ضـرار بـن الأزور الأسدي الحصن الأبيض، وحاصر ضرار بن الخطاب الفهـري حصـن العدسـيين، وحاصر ضرار بن مقرن المزني حصن بني مـازن، وحاصر المثنى بن حارثة الشيباني حصن ابن بقيلة، وأمر خالد كل أمير من الأمراء الأربعة أن يدعو أهل الحصن الذي يحاصره إلى واحدة من ثلاث، الإسلام أو الجزية أو القتال، وأن يمهلوهم يومًا. وهنا نجد ضرارًا أحد الإخـوة ولـيس أكبرهم قرينًا في المسئولية لضرار بن الأزور وضرار بن

الخطاب ولفارس بني شيبان المثنى بن حارثة رضي الله عنهم. ورفض أهل الحيـــرة الإنذار وانقضت المهلة فأنشب ضرار بن الأزور القتال مع الحصن الأبيض ثم نشب القتال مع كل الحصون وشن الأمراء الأربعة الغارات على مـــا فـــي خـــارج الحصـــون فافتتحوا الدور والأديرة وأكثروا القتل وخرج القسيسون والرهبان من أديرتهم فنادوا أهل الحصون: "يا أهل القصور.. ما يقتلنا غيركم".

ورأى أصحاب الحصون جلاء العجم عنهم واحتواء المسلمين لما حولهم وأدركـــوا ألا جدوى من المقاومة فقبل عمرو بن عبد المسيح صاحب حصن ابن بقيلة عرض المسلمين ثم تبعته الحصون الأخرى. وخرج سيد كل حصن إلـــى الأميـــر الذي يحاصره فأرسله كل منهم مخفورًا إلى خالد في فسطاطه وخلا خالد بأهل كل حصن على انفراد ثم جمعهم جميعًا وكتب معهم معاهدة صلح.

وكان سقوط قصور الحيرة أول ما تحقق من نبوءة النبي ﷺ يوم الخندق وشهدها النعمان بن مقرن وإخوته رضي الله عنهم.

كان لسقوط الحيرة أهمية مادية ومعنوية كبرى. فهو موطئ قدم للوثوب على المدائن، وهي طريق انسحاب وخط رجعة إذا لزم الأمر، وهي الغرض الأول المستهدف في خطة أبي بكر التي عهد بها إلى خالد بن الوليد وعياض بـــن غنم. وهي أول عاصمة إقليمية ينتزعها المسلمون انتزاعًا من المجوس الفرس فما أن سقطت الحيرة حتى جاء أهل القرى من وراء الفرات يطلبون صلحًا كصلح الحيرة حتى يجنبوا قراهم ويلات الحرب وبذلك انفتح للمسلمين مـــا وراء الحيـــرة وما وراء الفرات حتى شواطئ دجلة. وراح خالد يمارس سلطاته الحربية والمدنية على ما فتح من أرض وما دخل في ذمة المسلمين، فكان عماله على جباية الجزية كالآتي:

1- عبد الله بن وثيمة النصري على الفلوجة "شمالاً قرب عين التمر".

2- جريــر بن عبد الله البجلي على بانقيا وبسما بين دجلة والفرات قريبًا من المدائن.

3- بشير بن الخصاصية على النهرين.

4- أط بن أبي أط على روذمستان.

وتــذهب روايات إلى أن خالدًا أرسل سويد بن مقرن المزني على تستر شــرقي دجلــة فنزل العقر فهي تعرف باسمه وتسمى عقر سويد إلى قرون بعــدها. ولكننا بالنظر إلى موقع مدينة تستر (انظر الخريطة) وحصانتها وقد كانت أعظم مدينة بخورستان نستبعد أن يكون فتح تستر قد تم ضمن أعمال هــذه الحملــة ونقطــع بأنها لم تفتح إلا ضمن عمليات فتح الأهواز على ما ســيأتي، ونرى أن سويد بن مقرن رضي الله عنه كان ما يزال بالحفير علي جباية الجزية من قطاع الأبلة وشط العرب وهي المناطق غربي شط العرب التي تقابل تستر في شرقه.

كذلك أرسل خالد قواده إلى مختلف المناطق للمنعة والحماية.

لقــد كان عشرة من بني مقرن مع جيش خالد، منهم سويد بن مقرن على قطــاع الحفيــر والأبلة ومنهم النعمان بن مقرن أكبر الإخوة في هيئة أركان خالــد بالحيــرة ولا يذكر لنا الرواة مزيدًا من التفصيل عن الآخرين ولكنهم يذكــرون وجــودهم فــي الحملــة ونذهب إلى أنهم كانوا مع خالد والنعمان بالحيرة.

إنجاز أعمال عياض:

فــرغ خالد من هذا الاكتساح في نحو أربعين يومًا بينما كان عياض بن غنم مازال محاصرًا دومة الجندل وقد أجهد أهلها وأجهدوه. فكان على خالد أن يتحــرك لإنجــاز مــا أبطــأ عن عياض. وهو في سبيل ذلك يجد أمامه مشكلتين: الأولى: أن يحتفظ بما تم له فتحه، والثانية: أن يأمن أن يطعن من خلفــه وما زالت للفرس مواقع وحصون في الشمال، وكذلك للعرب الموالين لهــم. إذ ذاك أعاد خالد تنظيم قواته فقسم ما تم فتحه من أرض العراق إلى

أحـد عشـر قسـمًا، سـبعة بالحيرة وأربعة بالأبلة على كل قسم أمير من المسلمين، فكان سويد بن مقرن المزني من أمراء قطاع الأبلة وما نحسبه إلا بقي على ما كان عليه حين تركه خالد بالحفير حاميًا لمؤخرة المسلمين. ونجد فـي أسـماء أمراء الحيرة اسم ضرار غير منسوب لأبيه، وأغلب ظننا أنه ضـرار بـن مقـرن، فلم يكن هناك من أركان خالد الذين كان يعتمد عليهم ضـرار آخر سوى ضرار بن الأزور الأسدي وضرار بن الخطاب الفهري وكلاهمـا كـان أكثر التصاقا بخالد بحيث نرجح أنهما كانا معه في تحركاته التالـية، ثم لم يكن ضرار بن مقرن بعيدًا عن إمارة في الحيرة فقد كان أحد القادة الأربعة الذين حاصروا حصون الحيرة وفتحوها.

هـؤلاء الأمـراء الأحد عشر الذين ولاهم خالد أقسام الأبلة والحيرة كان علـيهم ألا يكفوا عن مناوشة العجم والإغارة على شتى جهات سواد العراق حتـى شـطآن دجلة ليشغلوهم دائمًا وليغنموا منهم ما يستنزف مواردهم وما يتعيشون هم به. واستخلف خالد على الحيرة القعقاع بن عمرو التميمي بينما خرج هو ليقضي عمل عياض الذي كلفه به أبو بكر.

وجـد خالد أنه يتعين عليه أن يفرغ أولاً من مواقع الفرس شمال الحيرة قبل أن يتجه نحو دومة الجندل وذلك حتى لا يتهدد من خلفه. فسار شمالاً إلى كـربلاء حيث أقام بها أيامًا ثم زحف نحو الأنبار ففتحها في حوالي 4 رجب 12هـ - 14 سبتمبر 633م بعد أن دافعت عنها قوات من الفرس المجوس ومن نصارى العرب الموالين لهم. ثم جاء إليه أهل المناطق المحيطة يطلبون الصـلح فصـالحهم واستخلف الزبرقان بن بدر على الأنبار واتجه إلى عين التمـر بالصـحراء حيث كان بها حصن اجتمع فيه العجم والعرب العملاء، فبقـي العجـم بالحصـن بينما تقدم العرب لمواجهة خالد على الطريق، فلما هزمهم انسحب العجم من الحصن بدون قتال.

اتجه خالد بعد ذلك إلى دومة الجندل ففتحها في حوالي 24 رجب 12هـ -4 أكتوبـر 633 وانتهـز الفـرس هذه الفرصة فزحفوا بقوات جديدة من

جيوشهم ومن عرب الجزيرة. وبادر القعقاع بتحريك قواته نحوهم وعاد خالد إلـــى العراق ومعه جيش عياض فاستخلف خالد عياضًا على الحيرة وتحرك هــو ومعه القعقاع نحو هذه التجمعات الجديدة فكانت معركة في حصيد في 10 شعبان 12هـ- 9 أكتوبر 633 ثم في الخنافس في 11 شعبان 12هـ ثم معـــركة ليلـــية في المصيخ[1] في 19 شعبان 12هـ - 19 أكتوبر 633 ثم معـــركة ليلية أخرى في الثني وأخرى في الزميل في نفس الليلة من يوم 23 شـــعبان 12هـــ - 2 نوفمبـــر 633. وعلم خالد بجموع جديدة تجمعت في الرضـــاب "موضـــع الرصافة غربي الرقة" فسار نحوها، ولكن هذه الجموع انقضت رعبًا وهلعًا قبل أن يصل إليها، وكان قد ابتعد نحوا من ثمانمائة كيلو متـــرًا من الحيرة فبدأ يعود أدراجه. وفي طريق العودة التقى بقوات مشتركة من الفرس والروم وعملائهم من العرب قد تجمعوا له فهزمهم هزيمة منكرة في الفراض، وقتل منهم مائة ألف على رواية جميع المؤرخين وكان ذلك في 15 ذي القعدة 12هـ - 21 يناير 634.

لا نســـتطيع أن نقطـــع بمكان النعمان وإخوته حين خرج خالد إلى دومة الجـــندل، فربما كانوا ممن مكث مع القعقاع بالحيرة وربما كانوا ممن زحف مـــع خالد إلى الأنبار وعين التمر وربما خرجوا معه إلى فتح دومة الجندل، فليس أمام أبصارنا ما ينير لنا هذه المسألة. ولكننا نستطيع القول أنه حين عاد خالد من دومة الجندل إلى الحيرة وترك فيها عياضًا في جيشه ثم تحرك هو فـــي جيشـــه إلى تلك المعارك أنه من المنطقي أن يكون الإخوة المزنيون قد أخذوا أماكنهم مع خالد في المعارك التي ذكرنا.

([1]) التفاصيل الكاملة لهذه المعارك وخرائطها في "الطريق إلى المدائن".

بقاء بالعراق:

وهــذه الفتوح تجرى في العراق، وكان للمسلمين جيوش أخرى في الشام قــد تحرج موقفها فقرر أبو بكر أن ينقل خالدًا بنصف جيشه من العراق إلى الشام وترك بالعراق المثنى بن حارثة أميرًا على النصف الثاني للجيش. كان خروج خالد من العراق في أوائل شهر صفر 13هـ- أبريل "نسيان" 634م على أن ينجز مهمته في الشام ثم يعود إلى العراق. غير أنه لم يقدر لخالد أن يعــود إلـــى العراق بعد ذلك أبدًا، وحين رجع جيشه -بدونه- كان ذلك بعد مــرور يــوم على بدء معركة القادسية. ولقد كان النعمان وإخوته ممن بقى بالعــراق مــع المثنـــى بن حارثة ولن نكون مفرطين في الظن إذا افترضنا خوضـــهم غمار كل معركة خاضها جيش المسلمين بالعراق ولو لم يرد لهم ذكر خاص فيها.

وكما تتلمذ الإخوة بنو مقرن على رسول الله ﷺ وعلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه من بعده، فلا ريب أيضًا أنهم قد أفادوا كثيرًا من خبرتهم في الحــرب مــن جهادهم تحت لواء خالد سواء في حروب الردة أو في فتوح العــراق، فقد شهدوا معه بطولته وجرأته وشجاعته ومفاجأته وأساليبه لتأمين جيشه في وقوفه وفي حركته وفي تنظيم مخابراته وفي إمساكه دائمًا بالمبادرة وفـــي قدرتـــه على توفير الحشد والمرونة وسرعة الحركة واختياره التكتيك المناســب للمعــركة وحســن اســتغلاله لكل نجاح حصل عليه وفي أسلوبه ومنهجه في القيادة وفي الإدارة التي كان الإخوة من أركانه التي أعتمد عليهم فيها.

الباب الثالث

في عهد عمر

*معركة بابل

*القادسية

*وفد سعد إلى يزدجرد

*إلى المدائن

*بعد المدائن

معركة بابل:

بعـد خـروج خالد أعاد المثنى تنظيم قواته التي صارت نحوًا من تسعة آلاف وزحف إليه من المدائن جيش فارسي قوامه عشرة آلاف ومعه فيل من أفـيال الحرب فبادر المثني والتقى بذلك الجيش في بابل وهزمه وقتل الفيل. وبالرغم من ذلك فلم يكن المثني ممن يبطره الفوز أو ينشيه الظفر، فقد كان يدرك تمامًا أن تسعة آلاف لا يمكنها أن تحتفظ بما تم فتحه من أرض العراق فضلاً عن أن يواصل بها فتح ما لم يفتح بعد. لذلك انفلت إلى المدينة لمقابلة أبي بكر فوجده يحتضر، ولم يمنعه ذلك من تقديم مشروعه بالسماح لمن ثبت حُسـن إسـلامه ممن سبقت له ردة أن يجاهد معهم فما أشد تأثير الذنوب إذا انقلبت إلى توبة وإنابة، وقبل أبو بكر الفكرة وكان قد استخلف عمر فاستدعاه وكانـت تلـك آخـر وصاياه إليه ثم لقي ربه من ليلته تلك رضي الله عنه وأرضاه.

معركة الجسر:

وعمـل عمـر بوصية أبي بكر فبعث بأمداد المسلمين إلى العراق حتى صار الجيش اثني عشر ألفًا وجعل أميرهم أبا عبيد بن مسعود الثقفي. خاض أبو عبيد ثلاث معارك ناجحة في النمارق وفي السقاطية وفي باقسياثا وهزم جيوش الفرس فيها ثم كانت معركة الجسر الشهيرة في التاريخ في 23 شعبان 13هـ- 22 أكتوبر 634 وقد وقع أبو عبيد فيها في خطأ جسيم أوقع جيش المسلمين برمته في مأزق حرج أدى به إلى هزيمة شنعاء استشهد فيها أربعة آلاف مـا بـين قتيل وغريق واستشهد أبو عبيد نفسه وعدد من إخوته وبنيه تحـت أقـدام فـيل من أفيال المجوس وفر أربعة آلاف واستطاع المثنى أن يحـتفظ بأربعـة آلاف انسحب بهم إلى تخوم الصحراء. في معركة الجسر استشـهد كثيـر من الأنصار وعم الحزن المسلمين في كل البقاع وانتشرت المراثي في ميدان القتال وفي المدينة وفي غيرهما..

في جيش المثنى:

تولـــى المثني قيادة فلول المسلمين وتدفقت عليه أمداد المسلمين من شبه الجزيـــرة حتـــى اكتمل له ثمانية آلاف وخاض بهم معركة في البويب كانت تكرارًا وإعادة لموقعة الجسر مع تبادل الغالب والمغلوب دورهما، وقد استفاد المثني من معركة الجسر أيما إفادة فاستدرج الفرس إلى المأزق الذي وقع فيه أبـــو عبـــيدة فـــي معركة الجسر وأبدى من ضروب البطولة والبراعة وعلم النفس العسكري في المعركة ما يصلح مثلاً للقادة من بعده على مر الأجيال. وانتصـــر المثنـــي انتصـــارًا عظيمًا جعل الرواة والمؤرخين يقدرون قتلي المجوس فيها بمائة ألف قتيل على ما في هذا الرقم من مبالغة ظاهرة.

وبعد معركة البويب أطلق المثني وحدات جيشه في مطاردة عميقة لفلول المجوس الذين انطلقوا في كل صوب. وقد رد المثني إلى المسلمين اعتبارهم مما أصابهم يوم الجسر ومخرت قوات المطاردة سواد العراق كله من شماله إلى جنوبه وقد انفتح أمامه بعد مذبحة الجيش الفارسي الكبير واستخدم المثني في ذلك تكتيكات الحرب الخاطفة وفق أحدث مفهوم لها في القرن العشرين.

صحوة الموت:

كـــان لتلك الهزائم المتكررة التي أصابت الإمبراطورية الفارسية العجوز علـــى يد الرعيل الأول من الصحابة والتابعين رد فعلها على البقايا الرجعية المجوسية للحكم الساساني بدولة الفرس، فأنهوا خلافاتهم الداخلية وولوا عليهم يزدجـــرد الثالث بن شهريار بن كسرى برويز فكان آخر ملوك بني ساسان. اجتمعوا عليه وهو ابن إحدى وعشرين سنة وتباروا في طاعته ومعونته بعد أن أحسوا بجدية الخطر الذي يتهددهم من الدين الجديد والمؤمنين به. وزاول يزدجرد سلطانه بمعونة أكبر رجلين في دولته وهما رستم وفيرزان.

جـــدد الفرس مسالحهم وثغورهم وأعادوا حشد قواتهم. وتوقع المثني قيام عـــدوه بهجوم مضاد، وصدق حدسه فلم يسمح بالاشتباك في معركة حيث لم يكـــن جيشـــه سوى ثمانية آلاف. فانسحب بجنده من سواد العراق إلى تخوم

الصحراء حيث لا يستطيع الفرس أن ينالوا منه. كان ذلك في أواخر ذي القعدة 13هـ - يناير 635، وراح عمر يجمع حشودًا أخرى لمعركة جديدة.. معركة القادسية كبرى المعارك الحاسمة في التاريخ.

القادسية[1]:

إذا قلنا أن القادسية معركة حاسمة في تاريخ الإسلام فلربما كان في هذا التعبير شيء من القصور، إذ لعل القادسية أن تكون هي أحسم معركة في تاريخ العالم منذ كان له تاريخ. فبهذه المعركة انفتحت أبواب العراق وفارس للعرب القادمين برسالة الإسلام وانفتح من وراء ذلك خط الشرق كله، فقامت دَولة إسلامية محل الإمبراطورية الفارسية الساسانية التي شغلت تلك الرقعة لقرون خلت، وحل دين الإسلام الرشيد ونور الله محل المجوسية المخرفة التي استذلت العقول والأذهان.. ثم كانت تلك الفتوح هي الباب الذي دخلت منه شعوب الشرق في دين الله أفواجا، واختلطت من خلاله الثقافات الشرقية فارسية أو هندية بفلسفات الإسلام ونظرياته وتمازجت بها. وبانفتاح خط الشرق تدعم مركز المسلمين بما أعانهم ولا شك على تقدمهم شمالاً وغربًا على حساب الإمبراطورية الرومانية.

جيش جديد:

كانت القبائل تتوافد من بقاع شبه الجزيرة إلى المدينة فينزلهم عمر على صرار -ماء قريب من المدينة- على طريق نجد نحو العراق. فلما اجتمع منهم جمع أمر عليهم سعد بن أبي وقاص خال رسول الله ﷺ وخامس خمسة من السابقين إلى الإسلام. وأول من رمى بسهم في سبيل الله وأحد الستة أهل الشورى من بعد عمر وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة. ثم بعثهم عمر فخرجوا من صرار في حوالي 13 شعبان 14هـ- أول أكتوبر 635.

([1]) أوفى ما كتب عن معركة القادسية ظهر في كتاب "القادسية" للمؤلف والكتاب يقع في 260 صفحة وموضح بسبع عشر خريطة.

واجـتاز بهم سعد نجدا ثم نزل زرود على 585 كيلو مترًا من المدينة حيث جاءتـه أمـداد كثيرة أخرى. حينذاك فقد المسلمون رجلاً من خير رجالاتهم وألمـع قـادتهم هـو المثني بن حارثة، أفضي إلى ربه متأثرًا بجراحه التي جـرحها يـوم الجسر. ثم تقدم سعد من زرود إلى شراف وانضم إليه هناك جـيش المثني الذي كان بالعراق من قبل -وبه النعمان وإخوته- فنظم سعد جيشـه ورتب قياداته. هذا الجيش الذي لم يجتمع مثله من قبل لحرب العراق بلغ ستا وثلاثين ألفًا من بني قحطان وبني عدنان على السواء.

تخطيط جديد:

وقد استفاد المسلمون من تجارب حروبهم السابقة بالعراق فرسموا خطتهم للقادسية على أساس جديد من عنصرين:

1- اختـيار أرض المعـركة بحيث توفر فيه أنه كان على حدود ما بين الصحراء وشبكة المسالك والمسطحات المائية التي تميزت بها أرض العراق تجنـبًا للتورط في أرض موانع مائية، وحتى يحفظ للمسلمين خط الرجعة إذا سارت الأمور على غير ما يشتهون.

2- أن تكون المعركة كبيرة وحاسمة تقضي على القوة الأساسية للفرس.

في انتظار المعركة:

خـرجت الحملة من شراف فنزلت القادسية في 16 صفر 13هـ - 29 مـارس 636، والـنعمان وإخـوته معها ليسوا غرباء عن الأرض فطالما ذرعوها جيئة وذهابًا في معاركهم السابقة. وأراد الفرس أن يطاولوا المسلمين لعلهـم ينصـرفون وضـاق بعض المسلمين الذين لا يدرون ما وضع لتلك الحرب من خطة، ولكن سعدًا ظل محافظًا على غرضه فظلت قواته بالقادسية تنتظر قدوم جيش فارس الكبير، وفي سبيل إحراجهم والضغط عليهم لتعجيل ذلـك راح سعد يبعث السرايا للقيام بغارات تموينية على شتى أنحاء العراق بهدف الإعاشة والتموين لجيش المسلمين في الميدان، ولشن حرب استنزاف على الفرس، ولإحراجهم ليخرجوا إليه جيشهم حيث اختار هو ميدان المعركة

وأخيـرًا اضـطر الفرس إلى تولية رستم –أكبر رجالات فارس في الحرب والسياسة– قيادة جيشهم لخوض المعركة على كره منه واعتراض.

وفد سعد إلى يزدجرد:

وجاء إلى سعد أمر من عمر أن يبعث إلى يزدجرد نفرًا من المسلمين من أصحاب الهيئة والمنظر والمهابة والرأي والاجتهاد والبلاغة احتجاجًا إلى الله ودعـاة لـه. واختار سعد الوفد وجعل النعمان بن مقرن على رأسه وأميرًا عليه. ويمكننا أن نستنير في تقييم النعمان عند سعد بالنظر في أشخاص الوفد الذي جعله أميرًا عليهم.

بسـر بـن أبـي رهم صاحب خالدًا في حروب الردة وشهد معه معركة الـيمامة وفتح العراق وكان أحد الفرسان المذكورين المشهورين. وقد أوكل إليه خالد بن الوليد أمر الكمين الذي أوقع فيه المجوس الفرس ومن ناصرهم مـن العـرب فـي موقعة الولجة كما كان قائد ميسرة المثنى بن حارثة في معركة البويب ثم كان ذا بلاء مشهود في معركة القادسية.

–حنظلة بن الربيع التميمي المعروف بحنظلة الكاتب لأنه كتب للنبي ﷺ كتابًا وكانت الكتابة في العرب قليلة. كان حنظلة في جيش خالد لفتح العراق ومن شهود معاهدة الصلح مع أهل ما بين النهرين ومن شهود جباية الجزية، وقـد وجهـه خالـد –حين استقر في الحيرة– في صحبة المثنى إلى جابان الفارسي حين ظهر في تستر بجمع كبير من المجوس فلما اقتربا منه انسحب إلـى داخـل إيران. وحين أراد خالد الخروج إلى الشام استأثر بحنظلة فلما كانـوا بسوي في عبور صحراء السماوة استأذن حنظلة وجرير بن عبد الله ونفر معهما ورجعوا إلى المدينة.

–فرات بن حيان العجلي خبير طرق شبه الجزيرة العربية والعراق. كان دلـيل تجـارة قـريش حتى اعترضته سرية زيد بن حارثة في العام الثالث الهجـري وأسرته وعادت به إلى المدينة فأسلم. ثم كان في العام الثامن دليلاً لسرية زيد بن حارثة لاعتراض تجارة قريش إلى العراق. وكان فرات ممن

اخـــتارهم خالد للخروج معه إلى الشام ثم تركه ترضية للمثني. شهد البويب وصاحب المثني في غاراته على شمال العراق بعدها.

-عطارد بن حاجب من سادات بني تميم وكان الوحيد في هذا الوفد وربما فـــي العرب الذي دخل إيوان كسرى من قبل فقد كان لمنزلته يفد على ملوك فارس في الجاهلية.

-الأشـــعث بن قيس الكندي كان رئيسًا مطاعًا في كندة في الجاهلية كما كـــان وجـــيهًا في الإسلام. وكان رئيس وفد كندة حين قدم على النبي ﷺ في العـــام العاشر. ثم ارتد بعد النبي وأسره المسلمون في حروب الردة وأرسلوه إلـــى أبي بكر فأسلم فأطلق أبو بكر سراحه فقال لأبي بكر: "استبقني لحربك وزوجني أختك!" فاستجاب له أبو بكر تقديرًا له واطمئنانًا إلى حسن إسلامه.

-عاصم بن عمرو التميمي أغنى من أن يعرّف وقد كثر ذكره في حروب خالد وأبي عبيد والمثني. كان على ثلث جيش خالد حين تحرك من النباج إلى العـــراق. وكان قائد ميمنة خالد في كاظمة وفي المذار، ثم كان قائدًا لحامية كـــربلاء بعـــد صلح الحيرة، ثم كان مع خالد في فتح دومة الجندل وكان هو الذي أسر أكيدر ملك دومة الجندل. وقد كان مع خالد في معارك عين التمر والفـــراض واســـتخلفه خالد على جيشه في عودته من الفراض إلى الحيرة. وكـــان ممـــن وقـــع اختيار خالد له ليكون معه في الشام ثم تركه استرضاء للمثنـــي. وكان قائد فرسان المسلمين في معركة النمارق وفي مطاردة فلول المجـــوس بعـــدها. كذلك شهد السقاطية مع أبي عبيد وطارد فرارهم بعدها، وشـــهد معـــه باقســـياثا ومعركة الجسر، وكان من أبرز أبطالها وهو شاعر فارس.

-عمـــرو بـــن معدي كرب الزبيدي شاعر فارس له غارات في الجاهلية والإســـلام وفد على النبي ﷺ في وفد زبيد في العام التاسع غير أنه ارتد في حركة الردة ثم عاد إلى الإسلام وحسن إسلامه.

-المغيرة بن شعبة من دهاة العرب يجيد الكتابة ويتكلم الفارسية وكان من كتبة رسول الله ﷺ. وهو الذي بعثه النبي إلى الطائف لهدم صنم ثقيف.

-المعنى بن حارثة أخ المثني شهد معه مواقعه كلها.

هذا الوفد المنتقى كان النعمان بن مقرن أميرًا عليه في مهمة سياسية على أكبـر قـدر من الحساسية. وخرج الوفد من القادسية على الخيل فانتهوا إلى إيوان كسرى بالمدائن.

إيوان كسرى:

كانـت "المـدائن" كلمة عربية أطلقها العرب على سبع مدن متجاورة أو متلاصـقة على شاطئي دجلة الشرقي والغربي. وكان القصر الأبيض أشهر قصور الساسانيين الذي به الإيوان "أوطاق كسرى" وهو قاعة العرش يقع في أسـبانبر إحدى تلك المدائن والإيوان بناه كسرى أنوشروان. خرائب القصر في عصرنا هذا تشمل مساحة 300 × 400 متر. وواجهة الإيوان شرقية يبلغ ارتفاعها 29 مترًا عبارة عن حائط بلا نوافذ تزينه الطيقان والأعمدة البارزة المنقوشـة والعقود المصفوفة على أربع طبقات. وكانت هذه الواجهة مغطاة بالمصـيص الأبـيض المنقوش أو بلوحات من الرخام. وفي وسط الواجهة تشـرف القـبة البيضاوية الضخمة التي تشمل سمك البناء كله وتغطي بهو الاستقبال الذي تبلغ أبعاده 26×44 مترًا. وكان على جانبي هذا البهو خمسة أبهـاء أخـرى فـي كل جانب تعلو منها قبة مستديرة. كان الإيوان يفرض الإعجـاب بضخامته، قال ابن خرداذبه[1]: "ما بناء بالجص والآجر أبهى من إيوان كسرى بالمدائن".

وقـف[2] الوفد على باب الإيوان على خيول غير مسرجة ومعهم خيول أخرى قادوها إلى جانبهم ليبدلوا عليها وكلها صهال تصهل واستأذنوا للدخول

(1) المسالك والممالك.

(2) الطبري 497/3 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي وطلحة عن المغيرة.

فتـــركوا على الباب حتى بعث يزدجرد إلى وزرائه ومستشاريه ليستشيرهم فيما يقول لهم وما يصنع معهم. وجاء أهل المدائن يتطلعون إلى أعضاء الوفد وعلـــيهم المقطعـــات والبُـــرُد وفـــي أيديهم سياط دقاق وفي أقدامهم النعال واجـــتمعت حولهم جمهرة كبيرة من الناس فكان أهل فارس يسؤهم ما يرون من حالهم وحال خيلهم. ثم أذن يزدجرد بدخولهم.

دخلـــوا إلـــى القاعـــة الكبيرة وقد فرشت بالسجاجيد العظيمة كما كانت سجاجيد أخرى معلقة على الجدران وكانت على الأجزاء العارية منها لوحات مـــن الفسيفساء أعدت بأمر كسرى أنو شروان منها ما يمثل حصار انطاكية ومـــا دار حولها من معارك ظهر فيها كسرى في رداء أخضر يمتطي جوادا أصـــفر ويســـتعرض جنود الفرس والروم. لم يكن بالإيوان نوافذ ولكن كان الضـــوء ينفذ من خلال مائة وخمسين كوة صغيرة في القبة يبلغ قطر إحداها ما بين 12 و15 سنتيمتر وكان العرش في أقصى القاعة يتقدمه ستار بحوالي خمسة أمتار. وكانت قواعد البروتوكول الساساني تقضي بتواجد الحضور في أماكـــنهم ثـــم يرفع الستار فيظهر الملك (الشاهنشاه) يجلس على وسادة من الحريـــر المـــذهب فوق عرشه في رداء موشى بالذهب وكان التاج الذهبي مطعمًـــا بالفضة واليواقيت الرمانية وباللؤلؤ الأبيض التي يبلغ إحداها بيض العصافير والزبرجد والزمرد، هذا التاج كان يزن واحدًا وتسعين كيلو جرامًا ونصف ولذلك لم يكن يلبس على الرأس وإنما كان معلقًا في سلسلة من ذهب ذرعهـــا سبعون ذراعًا تتدلى من قمة القبة التي تعلو الطاق، فكان الشاهنشاه يجلس في مجلسه ذاك ثم يدخل رأسه في التاج المعلق.

وكـــان البـــروتوكول الساساني يقضي بأنه إذا أذن الملك بدخول أحد أن يغطي فمه وأنفه بقطعة بيضاء نقية من النسيج لمنع أنفاسه من تلويث المكان ولـــوقاية جـــلال الملكية، فإذا اقترب من العرش ارتمى على الأرض وظل كذلك إلى أن يؤمر بالوقوف فيقف مادا سبابته اليمنى إلى الأمام وقد كان ذلك تقلـــيدًا للاحترام فإذا أذن له الملك بالكلام بدأ ببعض الأدعية للملك ولم يكن

مســـموحًا علـــى الإطلاق أن يذكر أحد اسم الملك في خطابه له. ولكن وفد المسلمين لم يتبع هذه التقاليد بطبيعة الحال.

دخـــل الـــوفد فأمـــرهم يزدجرد بالجلوس وقام بينهما الترجمان ثم شرع يســـألهم أسئلة تافهة.. ماذا تسمون هذه الأردية؟.. ما تسمون هذه الأحذية؟.. كمـــا سألهم عن السياط التي في أيديهم! ثم قال يزدجرد للترجمان: "سلهم ما جـــاء بكـــم ومـــا دعاكم إلى غزونا والولوع ببلادنا؟ أمن أجل أنا أجممناكم وتشاغلنا عنكم اجترأتم علينا؟".

مقالة النعمان[1]:

فقال النعمان بن مقرن لزملائه في الوفد: "إن شئتم أجبت عنكم ومن شاء آثـــرته". فقالـــوا: "بـــل تكلـــم". وقالوا للملك: "كلام هذا الرجل كلامنا" فقال الـــنعمان: "إن الله رحمـــنا فأرســـل إلينا رسولاً يدلنا على الخير ويأمرنا به ويعـــرفنا الشر وينهانا عنه. ووعدنا على إجابته خير الدنيا والآخرة. فلم يدع إلـــى ذلك قبيلة إلا صاروا فرقتين فرقة تقاربه وفرقة تباعده، ولا يدخل معه في دينه إلا الخواص، فمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث، ثم أمر أن ينبذ إلى مـــن خالفه من العرب وبدأ بهم وفعل. فدخلوا معه جميعًا على وجهين مكره عليه فاغتبط، وطائع أتاه فازداد. فعرفنا جميعًا فضل ما جاء به على الذي كنا عليه من العداوة والضيق.

"ثـــم أمـــرنا بـــأن نبدأ بمن يلينا من الأمم فندعوهم إلى الإنصاف. فنحن ندعوكم إلى ديننا وهو دين حسَّن الحَسَن وقبَّح القبيح كله. فإن أبيتم فأمر من الشـــر هـــو أهـــون من آخر شر منه، الجزاء (الجزية). فإن أبيتم فالمناجزة (الحـــرب). فـــإن أجبتم إلى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله وأقمناكم عليه على أن تحكمـــوا بأحكامه ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وإن اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم (حميناكم ودافعنا عنكم). وإلا قاتلناكم".

---

(1) الطبري 498/3 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو عن الشعبي.

انتهى النعمان من مقالته فأجاب يزدجرد ولعله أن يكون تكلم بما أوصاه به وزراؤه ومستشاروه. قال: "إني لا أعلم في الأرض أمة كانت أشقى ولا أقل عددًا ولا أسوأ ذات بين منكم. قد كنا نوكل بكم قرى الضواحي فيكفوناكم.. لا تغزوكم فارس ولا تطمعون أن تقوموا لهم. فإن كان عدد لَحِق (يعني ازداد عددكم) فلا يغرنكم منا، وإن كان الجهد دعاكم فرضنا لكم قوتا إلى خصبكم وأكرمنا وجوهكم وكسوناكم وملكنا عليكم ملكًا يرفق بكم!!".

مقالة المغيرة بن زرارة:

كأنما لم يفقه يزدجرد شيئًا مما تكلم به النعمان. وفي الواقع أن النعمان كان كما ذكرنا في المقدمة رجلاً طيبًا دمثا حتى مع عدوه. فسكت الوفد برهة ثم قام المغيرة بن زرارة بن النباش الأسيدي فكان خطيب الوفد. قال: "أيها الملك. إن هؤلاء رؤوس العرب ووجوههم. وهم أشراف يستحون من الأشراف. وإنما يكرم الأشرافَ الأشرافُ ويعظم حقوقَ الأشراف الأشرافُ ويفخم الأشرافَ الأشرافُ. وليس كل ما أرسلوا به جمعوه لك، ولا كل ما تكلمت به أجابوك عليه؛ وقد أحسنوا. ولا يحسن بمثلهم إلا ذلك. فجاوبني لأكون الذي أبلغك ويشهدون على ذلك".

وكأن المغيرة بهذا يعتذر عن أدب النعمان مع الملك بأنه شريف يعظم الأشراف، وأنه لذلك سيتولى هو مخاطبة الملك حتى يبلغه ما جاءوا فيه. واستمر يقول: "إنك وصفتنا صفة لم تكن بها عالمًا. فأما ما ذكرت من سوء الحال فما كان أسوأ حالاً منا.. وأما جوعنا فلم يكن يشبه الجوع. كنا نأكل الخنافس والجُعلان والعقارب والحيات فنرى ذلك طعامنا. وأما المنازل فإنما هي ظهر الأرض. ولا نلبس إلا ما غزلنا من أوبار الإبل وأشعار الغنم.. ديننا أن يقتل بعضنا بعضًا ويغير بعضنا على بعض، وإن كان أحدنا ليدفن ابنته وهي حية كراهية أن تأكل من طعامنا. فكانت حالنا قبل اليوم على ما ذكرت لك.

"فبعث الله إلينا رجَلاً معروفًا، نعرف نسبه ونعرف وجهه ومولده، فأرضه خيــر أرضنا، وحسبه خير أحسابنا، وبيته أعظم بيوتنا، وقبيلته خير قبيلتنا، وهــو بنفسه كان خيرنا في الحال التي كان فيها أصدقنا وأحلمنا، فدعانا إلى أمر فلم يجبه أحد، أول من تَرِب كان له (سندًا) وكان الخليفة من بعده. فقال وقلنا وصَدَق وكذّبنا وزاد ونقصنا. فلم يقل شيئًا إلا كان، فقذف الله في قلوبنا التصـــديق لـــه وإتباعه، فصار فيما بيننا وبين رب العالمين. فما قال لنا فهو قول الله، وما أمرنا فهو أمر الله. فقال لنا إن ربكم يقول إني أنا الله وحدي لا شريك لي، كنت إذ لم يكن شيء، وكل شيء هالك إلا وجهي وأنا خلقت كل شيء، وإلى يصير كل شيء، وإن رحمتي أدركتكم فبعثت إليكم هذا الرجل، لأدلكـــم علـــى الســـبيل التي بها أنجيكم بعد الموت من عذابي، ولأحلكم دار السلام. فنشهد عليه أنه جاء بالحق من عند الحق.

"وقال من تابعكم على هذا فله مالكم وعليه ما عليكم. ومن أبى فأعرضوا عليه الجزية ثم امنعوه مما تمنعون منه أنفسكم. ومن أبى فقاتلوه، فأنا الحكم بيـــنكم، فمن قتل منكم أدخلته جنتي، ومن بقى منكم أعقبته النصر على من ناوأه.

"فاختر إن شئت الجزية عن يد وأنت صاغر، وإن شئت فالسيف، أو تسلم فتنجي نفسك".

لعل المغيرة لم يزد شيئًا عما ذكره النعمان من قبل من حيث المعنى ولكن أسلوبه كان أشد عنفًا – أو أقل طيبة.

جواب يزدجرد:

قال يزدجرد "أتستقبلني بمثل هذا؟!". قال: "ما استقبلت إلا من كلمني، ولو كلمنـــي غيرك لم أستقبلك به!". قال: يزدجرد وقد استبد به الغضب "لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم. لا شيء لكم عندي".

ثم قال لمن عنده من قومه "ائتوني بوقر من تراب".

فلما جاءوا به قال: "احملوه على أشرف هؤلاء ثم سوقوه حتى يخرج من باب المدائن".

وقـال للـوفد "ارجعوا إلى صاحبكم فأعلموه أني مرسل إليكم رستم حتى يدفـنكم ويدفنه في خندق القادسية وينكل به وبكل من بعد، ثم أورده بلادكم حتى أشغلكم في أنفسكم بأشد مما نالكم من سابور.. من أشرفكم؟".

فسكت الوفد ثم قام إليه عاصم بن عمرو ليأخذ التراب عن النعمان.

قـال: "أنـا أشـرفهم.. أنـا سيد هؤلاء فحمّلنيه". فقال يزدجرد يريد أن يستوثق: "أكذلك؟".

قالوا: نعم. فحمله على عنقه.

ذهبوا بتراب فارس:

خـرج الـوفد مـن إيوان كسرى بالتراب حتى إذا أتوا رواحلهم وضعه عاصم أمامه وركب وأسرعوا حتى أتوا سعدًا بالقادسية وسبقهم عاصم. وقال وهـو يمـر بباب الحصن الذي اتخذه سعد مقرًا له: "بشروا الأمير بالظفر، ظفـرنا إن شـاء الله" وجعل التراب في حجره ودخل به على سعد فوضعه أمامه وقص عليه ما كان وقصة التراب فتفاءل سعد وقال: "أبشروا فقد والله أعطانـا الله أقالـيد ملكهم!" وكما تفاءل المسلمون باستلام تراب فارس من ملكهـم فقد اشتد تشاؤم الفرس والمجوس من ذلك حتى أنهم خرجوا يشتدون في أثر الوفد ليسترجعوا منه ترابهم فلم يدركوه.

وذهـب رسـتم إلـى يزدجرد ليسمع منه ما كان من أمر الوفد، فقال له الملك: "ما كنت أرى أن في العرب مثل رجال رأيتهم.. دخلوا عليّ وما أنتم بأعقل منهم ولا أحسن جوابًا منهم.. "وحكى له ما كان حتى قال: "لقد صدقني القـوم، لقـد وعـد القوم أمرًا ليدركنه أو ليموتن عليه. على أني قد وجدت أفضلهم أحمقهم، لما ذكروا الجزية أعطيته ترابًا فحمله على رأسه فخرج به ولو شاء اتقى بغيره وأنا لا أعلم!" وأدرك رستم ما غاب عن ملكه فقال: "أيها الملك إنه لأعقلهم!".

لقاء بالقادسية:

بعد ذلك تحرك رستم بجيشه الضخم الذي بلغ مائة وعشرين ألف محارب ومثلهم من رجال الخدمات حتى بلغ به القادسية حيث كان سعد وجيشه في انتظاره واصطف الجيشان تجاه بعضهما بعد أن سمح سعد لهم بعبور نهر العتيق إلى الأرض التي اختارها، لقد استطعنا[1] أن نحدد مكان كل قبيلة في الميدان على الخريطة، غير أن مزينة لم تكن ممثلة في تلك الأوضاع بما يسمح لنا بتحديد مكان النعمان وإخوته تحديدًا دقيقًا. غير أننا نلاحظ أن قبائل قحطان شغلت ميسرة جيش المسلمين بينما كان بنو عدنان يشغلون الميمنة والقلب. ولقد كانت الميمنة من ربيعة بينما كانت قبائل مضر في القلب. من ذلك نرى أن الأخوة المزنيين كانوا في قلب جيش المسلمين أمام سعد بن أبي وقاص في مواجهة رستم، وأغلب ظننا أنهم كانوا ضمن القطاع الذي شغلته تميم وأسد. وقد استمرت معركة القادسية أربعة أيام والليلة الأخيرة فيها.

اليوم الأول – أرماث:

وكان يوم الخميس 13 شعبان 15هـ 19 سبتمبر[2] 636. وقد مرض سعد وأصيب بعرق النسا ودمامل منعته من الركوب فاتخذ مكانه بأعلى الحصن يشرف منه على المعركة ويلقى أوامره إلى جيشه. وفي مواجهة سعد من الطرف الآخر نصبوا لرستم مظلة ووضعوا تحتها سريرًا واتخذها مقرًا له ورفعوا عن يمين المظلة درفش كابيان راية فارس الكبرى. وكان مع رستم ثلاثًا وثلاثين فيلاً وزعها على وحداته فكان مع كل فيل أربعة آلاف من المقاتلين نصفهم من الفرسان ونصفهم من المشاة.

وأمر سعد فطاف كل رئيس قوم في قبيلته يحمسهم ويحرضهم، وقرئت سورة الأنفال على المسلمين فسكت جوارحهم وشرحت صدورهم. وأرسل

---

(1) كتابنا "القادسية".

(2) القادسية.

سـعد إلـى جنده: "ألزموا مواقفكم.. لا تحركوا شيئًا حتى تصلوا الظهر فإذا صـليتم الظهـر فإنـي مكبر تكبيرة، فكبروا وشدوا شموع نعالكم واستعدوا واعلموا أن التكبير لم يعطه أحد قبلكم، واعلموا إنما أعطيتموه تأييدًا لكم. فإذا كبرت الثانية فكبروا وتهيئوا ولتُستَتَمّ عدتكم. فإذا كبرت الثالثة فكبروا ولينشط فرسـانكم الناس ليبرزوا وليطاردوا. فإذا كبرت الرابعة فشدوا النواجذ على الأضراس واحملوا فازحفوا جميعًا حتى تخالطوا عدوكم، وقولوا لا حول ولا قوة إلا بالله[1]".

وكبـر سـعد التكبيـرة الأولـى ثم الثانية ثم الثالثة فخرج أبرز فرسان المسـلمين للمـبارزة، وخرج لهم من صفوف المجوس من يقابلهم. ثم وجه رستم ثلاثة عشر فيلاً من أفياله ومعها 52000 مقاتل إلى قبيلة بجيلة وحدها وكانت ألفين! وكان موقفها على يسار بني أسد (أيسر الوسط) وفرقت الأفيال بـين كتائب بجيلة وتهيبتها خيول المسلمين فترك فرسانها خيولهم وواجهوا هذه القوات المتفوقة رجالاً بشجاعة نادرة.

وأمـر سـعد بني أسد (3000) أن يدفعوا عن بجيلة. وأبدى طليحة بن خـويلد الأسـدي صاحب ردة بني أسد –سابقًا– من ألوان البطولة ما أذهل الـناس، وكان استبسال بني أسد في الدفاع عن بني بجيلة مثيرًا حتى قامت ميسرة المسلمين كلها عن يسار بجيلة تدفع عنها هجوم الفرس. وألقى رستم بمـزيد من وحداته إلى القتال المحتدم وجهها إلى بني أسد. هذا في حين كان سائر المسلمين في القلب (عن يمين أسد) وفي الميمنة ينتظرون تكبيرة سعد الـرابعة. فلمـا كبـر امتد القتال على طول الجبهة ونشطت فيول المجوس فحملت على الميمنة وعلى الميسرة واستغربتها خيول المسلمين فلم تثبت لها، وكان فرسانها يطلبون من مشاة المسلمين أن يمنعوا ظهورهم ويردوا خيلهم إلى الأمام.

---

(1) الطبري 535/3 عن السري على شعيب عن سيف عن محمد وطلحة وزياد بإسنادهم.

وأمـــر سعد بني تميم (على يمين أسد) أن تلتحم بالأفيال بغرض إخراجها مـــن المعركة. ووضع عاصم بن عمرو التميمي خطته ثم قادها ونفذها على أســـاس أن يتجه إلى كل فيل فريق يلتحم به ليشغله ومن يركبه من أمام، في حـــين يتســـلل فريق آخر ليهاجمه من الخلف ليقطع أحزمتها. فلما فعلوا ذلك ســـقطت عن الأفيال التوابيت التي تحمل المقاتلين والرماة فوقها. وكلما سقط تابوت عمل المسلمون على قتل من فيه حتى تم إخراج الأفيال من الالتحام. ومع المساء عاد كل من المجوس والمسلمين إلى مواقعهم دون نتيجة حاسمة لأي مـــن الطـــرفين علـــى الآخر. وباتت نساء المسلمين يحرضن أولادهن ورجالهن لمعركة اليوم التالي.

اليوم الثاني – أغواث[1]:

أصـــبح الصباح وقد أخلى المسلمون الميدان من الشهداء والجرحى بينما تـــرك المجـــوس قتلاهم جثثًا ملقاة حيث قتلت. وفي هذا اليوم وقبل أن تبدأ معـــركته بدأت مقدمات جيش خالد تصل من الشام عليها القعقاع بن عمرو، واستمر وصول باقي وحدات الجيش إلى الأيام التالية. هذا الجيش الذي عاد بـــدون خالد كان عليه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص (ابن أخي سعد). وسر المســـلمون كثيرًا لرجوع القعقاع إليهم وتذكروا قول أبي بكر فيه: "لا يهزم جيش فيهم مثل هذا".

وتقـــدم القعقاع بين الصفين يطلب المبارزة فخرج له بهمن جاذويه الذي قـــاد الفـــرس في معركة الجسر التي هزم فيها أبو عبيد وقتل. وتبارزا فقتله القعقـــاع فشـــرح ذلك صدور المسلمين. ولم يستطع المجوس في هذا اليوم إصـــلاح توابـــيت الأفيال التي تكسرت بالأمس فغابت الأفيال عن الميدان. وخـــرج فرسان المسلمين يبارزون العجم واستمرت المبارزات من الصباح حتى صلاة الظهر ثم تزاحفوا فاقتتلوا حتى منتصف الليل. وعلم القعقاع بما

---

(1) الطبري 541/3 – 550.

كان من الأفيال بالأمس فقدم ابتكارًا جديدًا بأن ألبس الإبل براقع ذات أشكال مخـيفة أرعبت خيول العجم فكان إذا هجم عليهم بها فزعت خيولهم وفرت أمامها كما فعلت خيول المسلمين أمام الأفيال يوم أرماث. وأوشك المسلمون أن يصلوا إلى سرير رستم لولا استماتة أصحابه دونه. وكانت كفة المسلمين أرجح في هذا اليوم فسرى عنهم يوم أرماث.

اليوم الثالث – عماس[1]:

جمـع المسلمون شهداءهم وجرحاهم وأخلوا منهم الميدان. وكانوا يبعثون بهـم إلـى العذيب خلف صفوفهم حيث شغلت النساء بحفر القبور وتمريض الجرحى! وتركت عشرة آلاف رمة من جثث المجوس ملقاة بين الصفين فقد كان دينهم يحرم دفن الجثث وإنما كانت تترك لتنهشها جوارح الطير[2].

وفي هذا اليوم عادت الأفيال إلى المعركة بعد أن تم إصلاح توابيتها وقد زادوا الحراسة حولها. ووصل هاشم بن عتبة مع الصباح فيمن بقى من جيش خالد، وعادت الأفيال إلى مثل فعلها يوم أرماث ولم يجد المسلمون بدًا من أن يوجهـوا فـرقهم الخاصة إليها، وقد عمدوا هذه المرة لا إلى تحطيم توابيتها ولكـن إلـى قطـع خراطيمها وطعنها في عيونها. فعلوا ذلك في أكبر فيلين فانطلقـا يعـويان إلى خلف صفوف المجوس وتبعتهما سائر الأفيال وظلت تعدوا حتى بلغت المدائن!

خرجت الأفيال من المعركة قبل الظهر وتزاحف الصفان في التحام عنيف للـيوم الثالث على التوالي، وكان يومًا شديدًا على المسلمين وعلى المجوس على السواء حتى طعنوا في الليل. ثم تحاجز الطرفان في مهلة قصيرة لتجديد تعبئتهم وتسوية صفوفهم والتقاط أنفاسهم.

---

(1) الطبري 550/3 – 563.

(2) الطريق إلى المدائن.

ليلة الهرير:

خرج فرسان المسلمين مرة أخرى من نفس الليلة يريدون المبارزة كالعادة ولكن أحدا من المجوس لم يخرج إليهم فرموهم بالنبل فلم يزحزحهم ذلك عن مسلكهم، ذلك أنهم قرروا تغيير أسلوبهم ليكون على طريقة الزحف المتراص بـــدلاً من طريقة الكر والفر، فزحف عليهم القعقاع بن عمرو في جنده دون إذن مـــن ســـعد، فغفـــرها له سعد ودعا له بالنصر وأقر له بما فعل ثم لحق بالقعقـــاع أخـــوه عاصم في جنده، وراحت فرق المسلمين تزحف فرقة إثر أخـــرى إلـــى القتال وكان ذلك بعد أن صلوا صلاة العشاء. واستمر الالتحام طـــوال الليل حتى تنفس صباح اليوم الرابع وقد ساد الليل أصوات السيوف كأنما استحال الميدان إلى حي من الحدادين يطرقون حديدهم ولا شيء يسمع غير ذلك سوى هرير المقاتلين، وبذلك سميت ليلة الهرير.

اليوم الرابع – القادسية[1]:

طلـــع الصـــباح ومازال القتال دائرًا وقد بلغ الجهد من الطرفين وأصبح واضـــحًا أن النصـــر لمن صبر. وجمع القعقاع جماعة من أبطال المسلمين فجعـــل مـــنهم رأس ســـهم هدفه الوصول إلى رستم، وراحوا يتغلبون على مقاومة حماته الذين استماتوا في إعياء. وزاد ذلك من حماس سائر المسلمين ومـــن خور سائر العجم. فلما حل الظهر نشطت الريح فاقتلعت مظلة رستم وألقت بها في نهر العتيق خلفه. ورأى رستم اقتراب كتيبة القعقاع من موقعه فقـــام عن سريره نحو النهر وتبعه المسلمون فلحق به هلال بن علفة وأدركه وقـــد ألقـــى بنفســـه في النهر فجذبه من رجله حتى أخرجه وضرب جبينه بالسيف ففلقه.

وشرع المجوس في الانسحاب عبر النهر واستطاعت ذلك بعض عناصر الجـــناح الأيمن أما ميسرتهم فقد قطع المسلمون عليهم خط الرجعة. وحاول

---

(1) الطبري 563/3 – 579.

بعض المجوس الصمود ولكن وحدات المسلمين المنتصرة، أذالتهم وألقت بثلاثين ألف مقترن بالسلاسل في النهر. وانهارت معنويات الفرس وغشيهم الذل والهوان حتى إن كان الرجل من المسلمين ليدعو الرجل منهم فيأتيه حتى يقف بين يديه وعليه سلاحه كاملاً فيضرب عنقه، وحتى إنه ليأخذ منه سلاحه فيقتله به، وحتى إنه ليأمر الرجلين منهم أحدهما بصاحبه فيقتله والجماعة بالجماعة فيقتلونهم. قال الأسود النخعي: "شهدت القادسية، فلقد رأيت غلامًا منا من النخع يسوق ستين أو -ثمانين رجلاً من أبناء الأحرار- كما كان يطلق على الفرس- فقلت لقد أذل الله أبناء الأحرار".

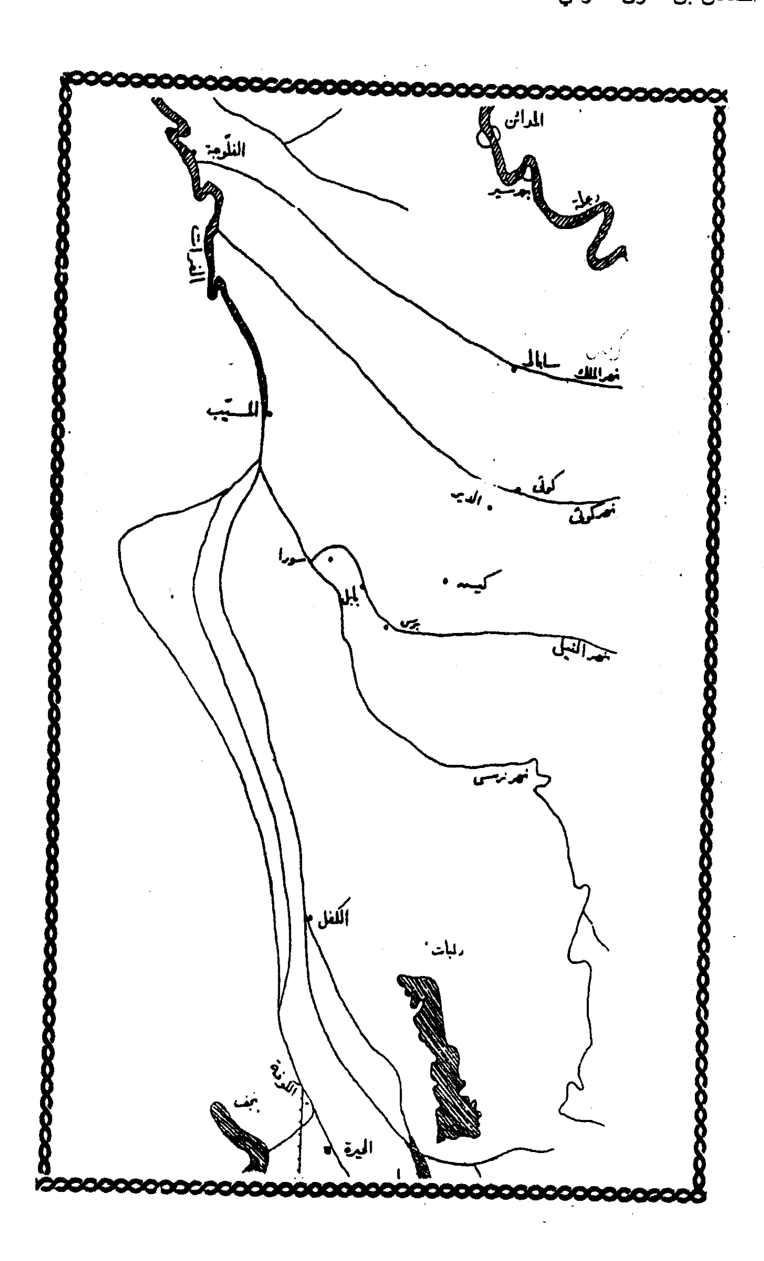
إنتهت المعركة قبل العصر وقد قدم المسلمون في القادسية ثمانية آلاف وخمسمائة شهيدًا. وأمر سعد القعقاع وعاصمًا وشرحبيل بن السمط وزهرة بن الحوية بأعمال المطاردة.. وهنأ سعد المسلمين بالنصر. وأقام المسلمون مهرجان الشعر كعادتهم في أمثال تلك المواقف فقالوا في القادسية الكثير من أعذب شعر الفتوح. وقسمت الغنائم على المجاهدين فكان نصيب الراجل منهم ألفى درهم ونصيب الفارس ستة آلاف.

رسالة النصر:

وكتب سعد إلى عمر: "أما بعد. فإن الله نصرنا على أهل فارس ومنحهم سنن من كان قبلهم من أهل دينهم بعد قتال طويل وزلزال شديد. وقد لقوا المسلمين بعدة لم يرى الراعون مثل زهائها فلم ينفعهم الله بذلك بل سلبهموه ونقله عنهم إلى المسلمين وأتبعهم المسلمون على الأنهار وعلى طفوف الآجام وفي الفجاج.

وأصيب من المسلمين سعد بن عبيد القارئ (قارئ القرآن) وفلان.. ورجال من المسلمين لا نعلمهم.. الله بهم عالم، كانوا يدوون بالقرآن إذا جنّ عليهم الليل دوى النحل وهم آساد الناس لا يشبههم الأسود. ولم يفضل من مضى منهم من بقى إلا بفضل الشهادة إذ لم يكتب لهم".

وهي المعركة الكبرى الحاسمة في التاريخ خاضها الإخوة المزنيون.


المدائن
الفلوجة
دجلة
بهرسير
الفرات
نهر الملك
المسيب
كوثى
الدير
نهر كوثى
سورا
كيسه
بابل
برس
نهر النيل
نهر نرسى
الكفل
رملبات
الكوفة
نجف
الحيرة

إلى المدائن:

على الطريق انتظر سعد بالقادسية شهرين بعد المعركة ثم تقدم بأمر عمر نحـــو المدائن وكان جيشه يتحرك على شكل طابور يتقدمه زهرة بن الحوية التميمـــي علـــى قلب الجيش وقد تحول إلى مقدمة وأصحابنا المزنيون فيها، يتبعهم عبد الله بن المعتم على الميمنة، ثم شرحبيل بن السمط على الميسرة، ثم هاشم بن عتبة وقد جعله سعد خليفته، ثم سعد من ورائهم.

وكانت قوة فارسية تعسكر في مكان الكوفة فما أن علموا بزحف المسلمين نحوهم حتى انسحبوا. ونزل زهرة الكوفة ثم أخلاها لعبد الله بن المعتم وتقدم زهرة حتى وصل إلى برس، فكانت مناوشة مع بعض المجوس انهزموا فيها وانســحبوا إلـــى بابل وبها بعض الفلول المنهزمة من القادسية، وتحرك ابن المعـــتم ومن ورائه شرحبيل ثم هاشم ثم سعد نحو زهرة في برس، فتحرك زهـــرة إلـــى بابل ومن ورائه ذلك القطار. وفي بابل كانت معركة صغيرة انهـــزم فيها العجم وافترقوا، فاتجهت فرقة نحو المدائن واتجهت أخرى نحو الأهواز واتجهت ثالثة إلى نهاوند في عمق فارس.

وعـــاود قطار المسلمين زحفه في أثر الفلول على طريق المدائن فالتفت طلائـــع المسلمين بمؤخرات المجوس في كوثي فهزموهم بعد مبارزة سريعة وواصــــل القطار المبارك مسيرته حتى إذا كانوا بمكان يعرف بمظلم ساباط مـــن ضـــواحي ســـاباط على ثلاثين كيلو مترًا من المدائن التقوا بفرقة من الحـــرس الملكي ألقى المجوس بها إلى المعركة بعد هلاك قواتهم لتعوق تقدم المســـلمين إلى أن يجمعوا قوات جديدة من عمق فارس.. وزودوا تلك الفرقة بأســـد كانوا قد روضوه فأطلقوه على المسلمين في المعركة، ونزل هاشم بن عتـــبة عن فرسه وتصدى له حتى ناله بسيفه فضربه وقتله، وانهزم المجوس كعـــادتهم. ثـــم تقدم المسلمون إلى بهر سير إحدى المدائن السبع –أو المدائن الدنيا كما كانوا يسمونها– وهي على الجانب الغربي من نهر دجلة في مقابلة

أســبانبر وطيســفون على الضفة الأخرى وإلى الجنوب منهما، وفي أسبانبر كان إيوان كسرى.

معركة بهر سير:

اعتصـــم الفــرس بأســوار بهر سير وأبوابها فوقف سعد بجيشه أمامها واستصنع بعض الدبابات "كانت عربات من الخشب المكسو من الجلد يختفون تحــتها ويقتــربون بها من الأسوار لينقبوها" وعشرين منجنيقًا نصبها حول أســوار بهر سير وظل يقصفهم بها شهرين. وفي يوم رأى المسلمون الفرس يعبرون دجلة من بهر سير إلى أسبانبر وطيسفون، ثم خرج إليهم رجل يطلب الأمــان فأمــنوه فأخبــرهم أنه لم يبق في بهر سير أحد. وتسور جند سعد الأســوار ودخلــوا المدينة ليلاً فلم يجدوا بها أحدا وتقدموا خلالها حتى بلغوا نهر دجلة وتطلعوا في ظلال الليل إلى الضفة الأخرى فوقع بصر ضرار بن الخطــاب القرشـــي على القبة البيضاء الضخمة للإيوان تشمخ فوق أشجار بساتينه الوارفة فما تمالك نفسه أن صاح.

"الله أكبر. أبيض كسرى. هذا ما وعد الله ورسوله!".

سبحان الله وبحمده.. ولا غرو أن يتذكر ضرار والنعمان وإخوته وسلمان الفارســي وســعد وآخرون كثيرون غزوة الخندق حين وعد رسول الله ﷺ المسلمين بفتح حصون الحيرة وقصور المدائن. كان النعمان وسلمان معا في جماعة واحدة يحفران الخندق ويحملان التراب وكان الإخوة المزنيون كذلك يحفرون وكان سعد وكثير ممن شهدها، وبعد أن فرغوا من حفره وقفوا خلفه يدافعون عن دينهم وعن مدينتهم وعن نسائهم وأولادهم وأنفسهم ذلك العدوان الــزاحف عليهم. وعلى الضفة الأخرى من الخندق كان ضرار بن الخطاب مــن رؤوس قــريش وقادتهــا جاء يقود بعض فرقها ليقتحم المدينة ويذبح المســلمين! ثــم هو اليوم من رؤوس كتائب الإيمان جاء يقود بعض فرقها ليقــتحم المــدائن ويــذبح المجــوس!!.. واستمر تدفق المسلمين حتى انتقل

معسكرهم إلى داخل بهرسير. هذا وقد جمع المجوس سفنهم معهم إلى الشاطئ الآخر واعتصموا بنهر دجلة العريض.

سقوط المدائن:

وقف المسلمون يفكرون كيف يعبرون. إن النهر عريض واسع والجسر الذي كان قائمًا خربوه، والسفن أحرزوها وضموها إلى جانبهم. ثم فاجأهم الفيضان فجاء مبكرًا من عامه ذاك. كان ذلك في شهر صفر 16 مارس 637. هذا وقد راح يزدجرد ينقل أمواله وكنوزه إلى النهروان وإلى حلوان. ونام سعد وهو يفكر فرأى في منامه أن خيوله تقتحم دجلة وهو في فيضان عظيم فتعبره. وصحا سعد يفكر فيما رأى فوجده مقبولاً مستساغا، فالخيل تعوم في الماء، وعزم عليه!

تطوع عاصم بن عمرو التميمي وستمائة من المسلمين ليكونوا كتيبة الأهوال التي تبدأ العبور وتحمي عبور المسلمين الذين صاروا ستين ألفا كلهم من الفرسان واقتحمت الكتيبة النهر ومياهه تتلاطم في فيضانه وسبحوا بخيلهم تجاه الشاطئ الآخر حيث وقف جيش الفرس مبهورًا ينظر. ودفع الفرس فرسانهم أيضًا إلى عرض النهر لملاقاة كتيبة الأهوال. واستخدمت الكتيبة الرماح فطعنوا بها في عيون خيل المجوس فاستدارت نحو شاطئها فنخسوها من خلفها فاندفعت بركبانها إلى شاطئ أسبانبر والمسلمون يتعقبونهم من خلفهم حتى خرجوا جميعًا من الماء ودارت المعركة على الشاطئ.

ومن الجانب الآخر رأى سعد والمسلمون الدائرة تدور على الفرس الذين أخذتهم المفاجأة، ونزل المسلمون بخيلهم إلى الماء حتى غطوا صفحة النهر وكانوا مثنى مثنى وهم يعبرون يتحدثون. كان سلمان قرين سعد وسعد يقول: "ذلك تقدير العزيز العليم.. حسبنا الله ونعم الوكيل.. والله لينصرن الله وليه. وليظهرن الله دينه، وليهزمن الله عدوه إن لم يكن في الجيش بغي أو ذنوب تغلب الحسنات".

وتم العبور دون أن يقع فيه حادث ذو بال.

وفزع يزدجرد في قصره فولى الأدبار من بعض شرفات القصر وانطلق إلى حلوان ليلحق بنسائه، وانسحب معه ألف طباخ وألف مطرب وألف فهاد "مدرب حيوانات" وألف بازيار وغيرهم[1]. أما غير يزدجرد فقد أعجلوا من أن يحملــوا معهم كثيرًا من أموالهم ومتاعهم فتركوها غنائم للمسلمين وكانت شيئًا يفوق الحصر.

وسارت كتيبة الأهوال في شوارع أسبانبر الخاوية من الناس على رأسها عاصم بن عمرو تتبعها الكتيبة الخرساء يقودها إخوة القعقاع بن عمرو ومن ورائهــم فرسان المسلمين جميعًا حتى بلغوا القصر الأبيض الذي به الإيوان المقــر الرسمّي للحكم الساساني. وأقبل سعد نحوه وهو يردد قوله تعالى: "كم تــركوا مـــن جنات وعيون، وزروع ومقام كريم، ونعمة كانوا فيها فاكهين، كذلك وأورثناها قومًا آخرين".

وكـــان فـــي القصور بقية من الفرس عرض عليهم المسلمون الإسلام أو الجــزية أو القتال، وأمهلوهم ثلاثة أيام. وفي آخرها نزل المحاصرون على الجزية وخرجوا من القصر فدخله سعد وصلى في الإيوان صلاة الفتح واتخذ من الإيوان مصلى وهو ملئ بالصور والتماثيل لم يحركها من مكانها. وأقام المسلمون بالمدائن فكانت أول جمعة أقيمت بها على ما قدرنا هي 26 صفر 16هــ 28 مارس 637.

الغنائم:

وأطلـــق ســـعد قوات المقدمة لمطاردة الذين فروا من المدائن يحملون ما خف وزنه وغلا ثمنه. وكل سعد أمر الغنائم والأقباض إلى أحد أبناء الأسرة المزنيين أبناء مقرن وهو عمرو بن عمرو بن مقرن المزني. ولا شك أن هذا الاختــيار كان يعني فيما يعني أنه كان يقرأ ويكتب. وأمره سعد أن يجمع ما

([1]) إيران في عهد الساسانيين 485.

فـــي القصـــر الأبـــيض والإيوان وكافة دور المدائن وكل ما تأتي به قوات مطاردة الفارين، وإحصاء ذلك كله.

يقول الرواة: "فما أفلت أحد منهم بشيء ولا بخيط إلا ما كان في معسكر مهـــران بالنهروان". وهو ما كان يزدجرد قد شرع ينقله مذ سقطت بهرسير قبل اقتحام المسلمين إلى المدائن. ولدينا الشيء الكثير مما رواه الرواة عن ما تم جمعه من غنائم وهو يفوق الخيال. وقد بدءوا بجمع ما في القصر الأبيض ومـــنازل كســـرى ثم سائر دور المدائن ثم ما جاءت به قوات المطاردة وقد غـــنموا كثيرًا من التحف وآنية الذهب والفضة والكافور وحلي كسرى وثيابه ووشـــاحه ودرعه المطعم بالجوهر وتاج كسرى الذي كان معلقًا في إيوانه – وقـــد أوردنـــا وصفه سابقًا– ودروع وأسياف هرقل وخاقان وداهر وبهرام جوبين وسياوخش والنعمان بن المنذر وكانوا قد استلبوها سابقًا من أصحابها فـــي بعـــض الحروب أو المناسبات، وكذا سيف كسرى أنو شروان وهرمز الـــرابع بن كسرى وشيرويه الذي غزا خالد العراق في عهده وسيف فيروز من ملوكهم وقال الشعبي الفقيه المعروف: "أخذ المسلمون يوم المدائن جواري مـــن جـــواري كســـرى جـــئ بهن من الآفاق فكن يُصَنِّعْن له، فكانت أمي إحداهن!"[1].

وقال جابر بن عبد الله[2]: "والله الذي لا إله إلا هو ما أطلعنا على أحد من أهل القادسية أنه يريد الدنيا مع الآخرة. ولقد اتهمنا ثلاثة نفر "من ستين ألفًا" فما رأينا كالذي هجمنا عليه من أمانتهم وزهدهم.. طليحة بن خويلد وعمرو بن معدي كرب وقيس بن المكشوح".

---

(1) فتوح البلدان 652.

(2) الطبري 19/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن مبشر بن الفضيل عن جابر بن عبد الله.

قد بلغت تلك الأنفال من الكثرة حدًا جعل سعدًا يخصص عمرو بن عمرو بـــن مقـــرن للأقـــباض فقـــط.. اســـتلامها وتسجيلها، أما قسمتها وتوزيعها والتصرف فيها فقد وكل أمره إلى سلمان بن ربيعة الباهلي.

الحكم والإدارة:

تم هذا النصر الباهر للمسلمين بعد أن سقطت عاصمة تلك الإمبراطورية المـــرعبة في أيديهم، فجعل عمر لسعد إمامة الصلاة وشئون الحرب لكل ما غلب عليه. كذلك ولى خراج ما سقى دجلة النعمان بن مقرن وخراج ما سقى الفـــرات ســـويد بن مقرن المزني. ولا شك أنها كانت مسئولية مدنية ومالية جسيمة لكل منهما، ما كان عمر ليضعها في أيديهما لولا ثقة منه في أمانتهما وفي كفايتهما لقيامهما بها في عدالة وضبط. وسبحان مالك الملك يؤتي الملك مـــن يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء، فمن كان يظـــن أن أولـــئك الـــبدو الذين ولدوا بجبال البادية يبلغون ما بلغوا من قيادة الجيوش وعز الدنيا ورضوان الله؟ ولكنه هذا الدين.

حشود أخرى:

بعـــد سقوط المدائن اتخذ يزدجرد حلوان عاصمة له وكانت على حوالي 220 كيلو مترًا إلى الشمال الشرقي من المدائن. وتمركزت جموع المجوس فـــي جلـــولاء على الطريق إلى حلوان، وكانت عناصر من المنسحبين من المـــدائن ومن الإمداد التي تم جمعها من كل مكان. وفي نفس الوقت جاءت قوات أخرى من الموصل "بالشمال" فعسكرت في تكريت على نهر دجلة. ثم كـــان هرمزان في الأهواز "بعيدًا نوعًا إلى الجنوب الشرقي" منذ انسحب بعد معركة بابل.

وقد واجه عمر تلك الحشود بقوات حددها لسعد، فجعل:

1- هاشـــم بـــن عتبة والقعقاع بن عمرو لقطاع جلولاء ومعهما سعد بن مالك وعمرو بن مالك وعمرو بن مرة الجهني. وهي القوات التي شغلت من وسط جيش المسلمين إلى أقصى ميسرته في القادسية.

2- عبد الله بن المعتم على القوات التي شغلت ميمنة المسلمين من قبائل ربيعة في القادسية لقطاع تكريت.

3- قطاع الأهواز كان بعيدًا نوعًا ولم يكن متحركًا في ذلك الوقت، فأرجأ التعامل معه بعض الوقت لحين الفراغ من جلولاء ومن تكريت.

فأين كان النعمان وإخوته من ذلك؟ ذكرنا أن النعمان وسويدًا خرجا لمزاولة مسئوليتهما الجديدة بشأن تنظيم وجمع خراج ما سقى دجلة والفرات فهمـا قد شغلا إذًا بهذه الوظائف الإدارية حينا عن الجهاد بالسيف أما سائر الإخوة فلا تسعفنا المصادر عنهم بشيء في هذه التوزيعات وهم إذا لم يكونوا أعـوانًا للنعمان وسويد فيما وكل إليهما فنرجح أنهم كانوا فيمن بقي مع سعد بالمدائن أو في جيش جلولاء مع هاشم والقعقاع وقبائل بني عدنان، لذلك فلن نعـرض لـتلك المعارك بتفاصيلها حتى لا نخرج عما نحن بسبيله من تتبع الإخوة الأبرار رضي الله عنهم.

معركة جلولاء[1]:

كـان هاشم على خمسة عشر ألفًا وقد اعتصم المجوس خلف استحكامات أقامـوها مـن الخـنادق وحقول من حسك الحديد وخوازيق الخشب. وكان المجـوس يخرجون إلى المسلمين في زحوف بلغت ثمانين زحفًا على مدى سـبعة أشـهر، فـإذا انهزموا رجعوا إلى مواقعهم خلف استحكاماتهم. وفي الزحف الأخير التحم بهم المسلمون ولم يتحاجزوا عنهم فلما أرادوا الانسحاب إلـى الاسـتحكامات لزمهم المسلمون وغلبوهم على خوازيق الخشب وسقط المجـوس فـي خندقهم فدخله المسلمون عليهم. واستمرت المعركة ليلاً حتى ذكر الرواة أن قتلى المجوس بلغوا مائة ألف. وقد تم فتح جلولاء في أول ذي القعـدة 16هـ 24 نوفمبر 637، واقتحم المسلمون بعدها حتى حلوان فخرج

---

(1) الطبري 24/4 - 25.

يزدجـــرد مـــنها هاربًا إلى ما وراءه من اتساع دولته بعد مقاومة يسيرة من بعض قواته خارج حلوان.

معركة تكريت[1]:

وقـــاد عبد الله بن المعتم خمسة آلاف إلى تكريت فحاصرها أربعين يومًا وكانـــت قد تجمعت بها حشود من الفرس والروم وأعراب الجزيرة الموالين وأغـــرى عبد الله بعض أولئك الأعراب بالانضمام إليه، فلما رأوا أن الروم بـــدأوا ينســـحبون وينفضـــون عن المعركة استجابوا لعبد الله فطلبوا الأمان فعرض عليهم الإسلام فأسلموا. ثم اقتحم عبد الله من جهته وتلك القبائل –من بنـــي تغلب وإياد والنمر– من جهتها تكريت على الفرس فسقطت في جمادي الأولى 16هـــ يونيه 637.

بقـــى ابـــن المعتم في تكريت مع ألف من جيشه وبعث ربعي بن الأفكل العنزي في باقيه وكذا القبائل حديثة الإسلام التي انضوت إليه، أرسلهم شمالاً ففتحوا حصني الموصل ونينوي على جانبي نهر دجلة.

كذلك بعث سعد جيشاً آخر يقوده عمر بن مالك ففتح هيث وقرقيسياء على الفرات شمالاً، وسير جيشًا آخر شرقًا يقوده ضرار بن الخطاب القرشي ففتح ما سبذان من أرض إيران.

الأبلة والبصرة:

في ذي القعدة 15هـــ ديسمبر 236 حين انهزم المجوس أمام جيش سعد في بابل على الطريق إلى المدائن، تفرقت وحداتهم في عدة وجوه كما ذكرنا في موضعه، وانسحب هرمزان بجنده نحو موطنه الأصلي –الأهواز– وكان ذلـــك لأن عمر أراد أن يفتح على المجوس أكثر من جبهة ليشتت قواهم عن المعـــركة الأساسية لفتح المدائن، فأرسل عتبة بن غزوان المازني إلى قطاع البصـــرة في قوة صغيرة يذكر الرواة أنها كانت خمسمائة، ولكنه استطاع أن

---

(1) الطبري 35/4 – 37.

يجمــع مــن قبائل المسلمين القريبة من المنطقة ما عزز به قواته، وسقطت الأبلــة بين يديه. ولكن المسلمين العرب الذين لم يألفوا سكنى المدن الكبيرة المؤسسة لم ترق لهم الإقامة في الأبلة فأنشأوا البصرة.

واستمرت هذه القوة في نشاطها في تطهير المنطقة بين شط العرب وبين مــا فــتح ســعد من سواد العراق في طريقه إلى المدائن، واستمرت الأمداد تتوالــى علــيها حتى صارت جبهة لها خطرها. وكان هرمزان في الأهواز يــواجه قطــاع عتبة من وراء شط العرب ونهر دجلة. وكان نشاط هرمزان يــتجه إلى شن غارات من جهتين، من نهر تيرى إلى ميسان "جهة العمارة" ومن مناذر إلى دست ميسان "جهة البصرة".

بعد المدائن:

الكــوفة[1]: لاحــظ عمر تغير ألوان المسلمين منذ نزلوا المدائن، ذلك أن طبــيعة المــدائن كمدينة مشجرة على شاطئ نهر تختلف عما ألفه المسلمون العــرب مــن عيش الصحراء، وحين تحرى أسباب ذلك جاءه الجواب بأنها وخــومة البلاد فطلب من سعد أن يبحث عن مكان يناسب سكنى العرب بدلاً مــن المــدائن ويبدو أن ذلك كان معاصرًا لإقامة البصرة. وتم اختيار مكان الكــوفة فأقاموا عليه حاضرتهم، بل قاعدتهم الحربية التي اجتمعت بها قوتهم الحربية.

فتح الأهواز:

طلــب عتــبة بن غزوان المدد من سعد ليواجه هرمزان فأمده بنُعَيمُ بن مقرن المزني أحد الإخوة أبناء مقرن، ويبدو أن نُعَيْمًا كان ترتيبه الثاني بعد الــنعمان من حيث مكانته بين الإخوة، كما أمده بنُعَيْم بن مسعود الذي اشتهر خبــره فــي الوقيعة بين يهود بني قريظة وبين قريش والأحزاب في غزوة الخــندق. وأمرهما سعد أن يسلكا أعلى ميسان ودست ميسان حتى يكون بين

---

(1) الطبري 40/4 – 48.

عتـبة وبين نهر تيرى. وفي نفس الوقت بعث عتبة سلمى بن القين وحرملة بن مريطة التميميين إلى نفس المنطقة فنزلا حدود ميسان ودست ميسان من جهته بين نعيم بن مقرن ونعيم بن مسعود وبين مناذر.

كـان هرمـزان بين نهر تيرى ودلث. وكان سلمى بن القين على جيش البصرة ومعه حرملة في قواته، وكان نعيم بن مقرن على جيش الكوفة ومعه نعيم بن مسعود في قواته. وقاموا جميعًا في توقيت واحد حتى التقوا بهرمزان فـي معركة في حين اتجهت بعض قواتهم فاستولت على مناذر وعلى مواقع أخـرى لهرمـزان علـى نهـر تيرى فانهزم هرمزان وقتل كثير من جنده وانسحب حتى نهر دجيل (نهر كارون الآن) وعبر جسر سوق الأهواز فأقام على رأسه من الجانب الآخر، واستولى المسلمون على ما انسحب منه حتى بلغوا الجسر من جهتهم.

صلح وانتقاض وصلح:

وطلب هرمزان الصلح فصالحه عتبة بن غزوان على الأهواز ومهرجان قـذق إلا مـا غلب عليه المسلمون من سوق الأهواز فقد صار لهم. وجعل سـلمى على مناذر وجعل حرملة على نهر تيرى. وهنا يختفي من المصادر نعـيم ونعيم، وربما كان معنى هذا أن مهمة جيش الكوفة قد انتهت وأنه عاد إلى قواعد اكتفاء بجيش البصرة في ذلك الميدان.

غيـر أن هرمزان ما لبث أن أثار خلافًا على الحدود الفاصلة بينه وبين المسـلمين واسـتعان بالأكراد وجلب أمدادًا منهم ونقض صلحه. وأمد عمر عتبة بن غزوان بحرقوص بن زهير. وعبر المسلمون قنطرة سوق الأهواز إلـى هرمزان واقتتلوا فهزموه، وتراجع حتى اجتاز قنطرة أربك وصعد إلى رامهرمز. وتعقبته قوات المسلمين تستولي على ما في طريقها.

وعـاد هرمـزان يطلـب الصـلح من جديد فأمرهم عمر أن يقبلوا منه فصـالحوه علـى ما لم يفتحوا من رامهرمز وتستر وسوس وجندي سابور والبنيان ومهرجان قذق.

ميادين أخرى:

وفي عام 17هـ[1] تم فتح الجزيرة على يدي عياض بن غنم وكان فتحًا سهلاً. وأراد عمر الوقوف بالفتوح عند تلك الحدود سواء في قطاع الكوفة أو في قطاع البصرة، وكانت مسئولية الفتح قد تقسمت بين القاعدتين.

النعمان في فتح الأهواز:

أراد يزدجـرد[2] أن يأمن على نفسه فذهب إلى مرو بأقصى مملكته على حدودها الشرقية الشمالية وبعث بقوات جديدة إلى تستر بالأهواز. وبلغت تلك الأنـباء إلى عمر فكتب إلى سعد أن يبعث جندًا كثيفًا من الكوفة إلى الأهواز بقيادة النعمان بن مقرن المزني. وأن يبعث بقوات أخرى مع سويد بن مقرن المزنـي وعبد الله بن ذي السهمين وجرير بن عبد الله الحميري وجرير بن عبد الله البجلي ليكونوا تجاه هرمزان حتى تتضح وجهته ونواياها. كذلك كتب إلى أبي موسى الأشعري -وكان وقتها على البصرة- أن يبعث منها جندًا إلى الأهواز بقيادة أبي سبرة بن أبي رهم.

وسـار الـنعمان من الكوفة مستعرضًا سواد العراق حتى اجتاز ميسان وعبـر نهر تيرى ومناذر وسوق الأهواز واستجاب هرمزان لنداء يزدجرد فـنقض ما بينه وبين المسلمين مرة أخرى وبادرهم بالهجوم فالتقى بالنعمان فـي أربك فهزمه النعمان وأرغمه على إخلاء رامهرمز والتراجع إلى تستر حيث جاءت أمداد يزدجرد واستولى النعمان على رامهرمز ثم على إيذج.

أحـرز النعمان هذه الانتصارات بجيشه وكان جيش البصرة ما زال في سـوق الأهـواز في طريقه إليه -فلما بلغتهم هذه الأنباء تحولوا نحو تستر ولحق بهم النعمان في جيشه. كذلك جاء سلمى وحرملة وحرقوص وجزء بن معاوية ثم سار إليهم أبو موسى الأشعري فكان على جيش البصرة كله وكان

([1]) طبقًا لرواية سيف. أما ابن اسحق فيذهب إلى أن فتح الجزيرة كان عام 19هـ.

([2]) الطبري 72/4 – 77.

النعمان على جيش الكوفة واجتمعت قيادة الجيشين معًا إلى أبي سبرة بن أبي رهم.

كانت تستر[1] مدينة حصينة فحاصرهم المسلمون شهورًا خرج المجوس خلالها ثمانين مرة لمصادمة المسلمين لم يكن فيها نصر حاسم لأحد الطرفين وإنما تداول المسلمون والمجوس التفوق فيها. وجدت في آخرها أن كانت الغلبة لجند هرمزان على المسلمين وكان فيهم البراء بن مالك، وتذكر المسلمون قول رسول الله ﷺ: "رب أشعث أغبر لا يؤبه له لو أقسم على الله عز وجل لأبره، منهم البراء بن مالك!" فلجأوا إليه يطلبون دعاءه. ورفع البراء يديه إلى السماء وقال: "أقسم عليك يا رب لما منحتنا أكتافهم وألحقني بنبيك"[2].

فاكتشف المسلمون مدخلاً إلى المدينة من جهة النهر أرشدهم إليه أحد المجوس مقابل أن يؤمنوه، فتسللوا منه ليلاً واقتحموا تستر فسقطت في أيديهم وحصر هرمزان في قلعتها فلم يجد منها مخرجًا، وقد قتل بنفسه في هجوم المسلمين عليه مجزأة بن ثور وصاحب الدعاء المستجاب البراء بن مالك وأخيرًا استسلم هرمزان على أن يكون أمره إلى عمر، فشدوا وثاقة، واستطاعت بعض حامية تستر أن تفر إلى السوس فطاردهم أبو سبرة والنعمان بن مقرن وأبو موسى الأشعري وقد حملوا هرمزان معهم حيث كان يقود حامية السوس أخوه شهريار.

فتح السوس[3]:

حاصر المسلمون السوس ووقعت مصادمات بينهم وبين المجوس المدافعين أصاب فيها المجوس من المسلمين. وجاءت الأخبار بأن جموعًا كبيرة جديدة تحتشد إلى الشمال في نهاوند. واعتلى القسيسون والرهبان

---

(1) الطبري 83/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن محمد وطلحة والمهلب وعمرو.

(2) أسد الغابة 391.

(3) الطبري 89/4 – 93.

أســوار الســوس وصــاحوا بالمســلمين يقولون: "يا معشر العرب لا تعنوا بحصــارنا فإنــه لا يفــتحها إلا الدجال أو قوم معهم الدجال". حتى غاظوا المســلمين فرأوا أن يبادروا بشن هجومهم قبل أن يستفحل أمر حشود نهاوند ويضطرون إلى تفريق قواتهم، وفي هجومهم هذا تمكنوا من اختراق دفاعات المدينة فبادر أهلها يطابون الصلح والأمان. وأرسل أبو سبرة هرمزان أسيرًا مــع وفد من المسلمين فيهم أنس بن مالك أخ البراء وصاحب رسول الله ﷺ وفيهم الأحنف بن قيس والمغيرة بن شعبة.

فتح جندي سابور[1]:

وسار النعمان بن مقرن بجيشه شمالاً على طريق نهاوند حتى نزل على مياه في حين بعث أبو سبرة المقترب الأسود بن ربيعة إلى جندي سابور وانضم بها إلى زربن عبد الله بن كليب. ولحق بهم أبو سبرة فأقاموا على المدينة يصادمون حاميــتها. ثــم فوجئوا بالمدينة تفتح أبوابها ويخرج أهلها بمواشيهم وقد نصبوا أســواقهم وكأنهم ليسوا في حرب، وسألهم المسلمون إيضاحًا فقالوا: "رميتم إلينا بالأمــان فقبلناه وأقررنا لكم بالجزية على أن تمنعونا" فأنكر المسلمون أن يكون ذلك حدث منهم، وقال الآخرون: "ما كذبنا"!

وتحــرى المســلمون الأمر فوجدوا عبدًا مسلمًا بينهم كان من جندي سابور أصــلاً هــو الــذي كتب لهم الأمان وقذفه نحوهم من معسكر المسلمين. وعاد المســلمون يقولــون: "إنما هو عبد" واحتج أهل جندي سابور بأنهم لا يعرفون الحر من العبد وأنهم يتمسكون بقبول الأمان فإن شاء المسلمون الغدر فليغدروا، وكف المسلمون عنهم حتى عرضوا القضية على عمر فكتب عمر: "إن الله عظم الوفاء، فلا تكونون أوفياء حتى تفوا.. ما دمتم في شك أجيزوهم وفوا لهم".

([1]) الطبري 93/4 – 95.

الباب الرابع

نهاوند

* نهاوند

* بقية من أخبارهم

نهاونـــد

حشد جديد:

كانت معركة نهاوند من أبرز معارك الفتوح بعد القادسية. كما كانت قمة تألق بطلنا النعمان. فقد كان يزدجرد مازال مقيمًا في مرو يحرض المجوس في شتى بقاع مملكته ويحشدهم ويحشرهم إلى الحرب ويقذف بهم في مواجهة حـــركة الفتح. وقد صاحب تلك الفتوح كثير من الغنائم والأنفال التي عادت على المسلمين بأرزاق ومكاسب مادية نقدية وعينية ضخمة حتى خشي عمر علـــى قلـــوبهم من انفتاح الدنيا عليهم. يحكي الرواة: أنه حين وضعت أنفال جلولاء –والأنفال خمس الغنائم– حين وضعت أمامه بالمسجد وسقطت عليها أشـــعة الشـــمس لمع ما فيها من فضة وذهب وجوهر وكان كثيرًا فانهمرت دموع الخليفة الصالح حتى قال له عبد الرحمن بن عوف: "ما يبكيك يا أمير المؤمنين فوالله إن هذا لموطن شكر؟". قال عمر وهو مازال يبكي: "والله ما ذاك يبكينـــي. وتـــالله مـــا أعطى الله هذا قومًا إلا تحاسدوا وتباغضوا، ولا تحاســـدوا إلا ألقى بأسهم بينهم!" ثم كان بود عمر أن يكتفي بما فتح الله عليه فلا يفتح بعده، فقال: "لوددت أن بين السواد وبين الجبل سدًا لا يخلصون إلينا ولا نخلص إليهم، حسبنا من الريف السواد".

ولكـــن يزدجرد كان يريد استرداد ما فقد من ملكه فاستمر يحشد الجيوش ويبعـــثها بعـــثًا وراء بعـــث، وكلما انهزم منها جيش انفتح ما وراءه فغزاه المسلمون ثم كانت حشود نهاوند أكبر وآخر ما كان من ذلك. وكتب سعد إلى عمـــر بـــذلك غير أنه حدث أن عزل عمر سعدًا عن ولاية العراق لأسباب تخرج عن نطاق بحثنا، فقدم سعد المدينة على عمر وتحدث معه بشأن جموع العجـــم بنهاوند. ولما علم عمر أن تلك الجموع بلغت مائة وخمسين ألفًا فكر أن يســـير إليهم بنفسه. وثارت المناقشة بين الصحابة في مسجد الرسول ﷺ بـــين مؤيد ومعارض حتى انتهى عمر إلى أن يبقى بالمدينة وأن يبعث على

جيشــه إلى نهاوند رجلاً قال فيه: "أما والله لأولين أمرهم رجلاً ليكونن لأول الأسنة إذا لقيها غدًا!".

قالوا: "من يا أمير المؤمنين؟".

قال: "النعمان بن مقرن المزني".

فجاءه جواب صحابة رسول الله ﷺ: "هو لها".

النعمان أين كان؟

فــرغ النعمان من عمليات الأهواز في أربك ورامهرمز وتستر والسوس وجــندي سابور على النحو الذي ذكرنا في موضعه، فاستعمله سعد بن أبي وقــاص قبل عزله على خراج كسكر (وهو ما سقى دجلة) وهو العمل الذي كان يقوم به قبل قيامه بعمليات الأهواز، كما عاد سعد يستعمل أخاه سويد بن مقــرن على خراج ما سقى الفرات. وهو في عمله ذاك كتب[1] النعمان إلى عمر يشكو استعماله على جباية الخراج وذكر أنه يحب الجهاد ويرغب فيه.

"مثلــي ومــثل كسكر كمثل رجل شاب إلى جنبه مومسة تلون له تعطر فأنشــدك الله لمــا عزلتنــي عــن كســكر وبعثتنــي إلى جيش من جيوش المسلمين[2]". وكتب سويد بن مقرن إلى عمر بمثل ما كتب به النعمان فكأنما اتفقــا، فــإن لــم يكونا قد اتفقا على ما كاتبا به فقد اتفقا في المزاج وتشابه قلباهما.

وكــتب عمر إلى النعمان مع زر بن كليب والمقترب الأسود بن ربيعة: "بســم الله الــرحمن الرحيم من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى النعمان بن مقرن

ســلام علــيك فأني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو. أما بعد.. فإنه قد بلغنــي أن جموعًا من الأعاجم كثيرة قد جمعوا لكم بمدينة نهاوند. فإذا أتاك

([1]) الطبري 114/4 عن ابن حميد عن سلمة عن ابن اسحق.

([2]) الطبري 126/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن أبي وائل.

كتابـــي هذا فسر بأمر الله، وبعون الله، وبنصر الله، بمن معك من المسلمين. ولا توطـــئهم وعرا فتؤذيهم ولا تمنعهم حقهم فتكفرهم، ولا تدخلنهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إليّ من مائة ألف دينار[1]. فسر من وجهك ذلك حتى تأتي ماه، فإني قد كتبت إلى أهل الكوفة أن يوافوك بها. فإذا اجتمع لك جـــنودك فسر إلى فيرزان (قائد حشود يزدجرد بنهاوند) ومن تجمع إليه من الأعاجم من أهل فارس وغيرهم. واستنصر الله وأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله والسلام عليك".

كما كتب إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان الذي خلف سعدًا على الكوفة: "اســـتنفر مـــن أهل الكوفة مع النعمان كذا وكذا (ثلثي جيش الكوفة) فإني قد كتـــبت إليه بالتوجه من الأهواز إلى ماه. فليوافوه بها وليسر بهم إلى نهاوند. وقـــد أمـــرت عليهم حذيفة بن اليمان حتى ينتهي إلى النعمان بن مقرن. وقد كتبت إلى النعمان إن حدث بك حدث فعلى الناس حذيفة بن اليمان، فإن حدث بحذيفة حدث فعلى الناس نعيم بن مقرن.

كـــذلك أرسل عمر جندًا من البصرة عليهم أبو موسى[2] الأشعري تحت إمرة النعمان.

تقدم حذر:

بعـــث عمر إلى الكوفة قريب بن زفر العبدي والسائب بن الأقرع الثقفي وجعلـــه على الأقباض والغنائم وقسم الفيء وكان كاتبًا حاسبًا، وقد كان ذلك تفـــاؤلاً من عمر إذ من المفهوم أنه لن تكون هناك أقباض ولا غنائم إلا إذا كـــان هناك نصر. وقال له عمر: "إلحق بهذا الجيش فكن فيهم. فإن فتح الله عليكم فاقسم ما أفاء الله عليهم بينهم وخذ خمس الله ورسوله. ولا تخدعني ولا

([1]) الطبري 114/4 عن ابن اسحق.

([2]) فتوح البلدان 771.

تـــرفع إلـــى باطلاً[1]. وإن نكب القوم فلا تراني ولا أراك فاذهب في سواد الأرض فبطن الأرض خير من ظهرها".

وقدما إلى الكوفة بخطاب من عمر يستعجلهم للخروج، فخرج بهم حذيفة بـــن الـــيمان ومعه نعيم بن مقرن المزني حتى قدموا على النعمان في مكان على الطريق بين الأهواز ونهاوند اسمه الطرز على مائة وثلاثين كيلو مترًا غربـــي نهاونـــد، جعلوها موضع التقاء ومركز تجمع، فتركوا بمرج القلعة النســـير بن ديسم العجلي في قوة من الفرسان لحماية مؤخرة الجيش المتقدم، كذلك كتب عمر إلى قادة حاميات الأهواز الذين كانوا بينها وبين فارس وهم ســـلمى بن القين وحرملة بن مريطة وزر بن كليب والأسود بن ربيعة، كتب يقـــول: "إشـــغلوا فارس عن إخوانكم وحوطوا بذلك أمتكم وأرضكم، وأقيموا على حدود ما بين فارس والأهواز حتى يأتيكم أمري".

كذلك بعث مجاشع بن مسعود السلمي إلى الأهواز ليطلع منها إلى ماه في أثـــر الـــنعمان، فلمـــا كان في غضي شجر أمره النعمان أن يبقى بها شأن الآخـــرين لتأمين ظهر الجيش الأساسي المتوغل نحو نهاوند. تلك الحاميات جمـــيعًا وقفـــت علـــى مسالك أصبهان وفارس تحول دون تدفق أي إمدادات جديـــدة يبعث بها يزدجرد من تلك التخوم إلى نهاوند حتى يتقدم النعمان في طريقه الجبلي إلى نهاوند في أمان.

طليحة الكشاف[2]:

لقـــد اكتسب النعمان في معاركه السابقة مع رسول الله ﷺ ومع أبي بكر ﵁ ومع خالد والمثنى وسعد خبرة وتجربة في الحرب. ولقد أمن الآن أجنابه وظهـــره ولم يبق إلا ما هو مقدم عليه أمامه. وكان قريب بن ظفر حين قدم عليه بالطرز مع جند الكوفة قد حمل إليه رسالة من عمر جاء فيها: "إن معك

---

(1) الطبري 127/4 عن سيف.

(2) الطبري 127/4.

حد العرب ورجالهم في الجاهلية فأدخلهم دون ما هو دونهم في العلم بالحرب واستعن بهم واشرئب برأيهم. وسل طليحة وعمرًا وعمرواً ولا تولهم شيئًا".

فبعث النعمان من الطرز طليحة بن خويلد وعمرو بن أبي سلمى العنزي وعمــرو بــن معدي كرب الزبيدي طليعة ليأتوه بالأخبار كدورية استكشافية وأمــرهم ألا يوغلــوا. فلما ساروا يومًا إلى الليل رجع عمرو بن أبي سلمى فقالوا له: "ما رجعك"؟ قال: "كنت في أرض العجم وقتلت أرض جاهلها وقتل أرضًــا عالمهــا". ومضى طليحة وعمرو بن معدي كرب حتى إذا كان آخر اللــيل رجــع عمرو قالوا: "ما رجعك؟" قال: "سرنا يومًا وليلة ولم نر شيئًا وخفت أن يؤخذ علينا الطريق".

ولــم يحفـل طليحة برجوع صاحبيه فانطلق وحده حتى انقطعت أخباره وظن به المسلمون ظن السوء، حتى قال بعضهم لعله ارتد مرة أخرى ولحق بالمجــوس! ولكــن طليحة ظل سائرًا حتى بلغ نهاوند فأطلع على ما أراد ثم عــاد، فلمــا رآه المسلمون كبروا فقال: "ما شأن الناس؟" فأخبروه بظنونهم فأنكرها عليهم ثم دخل على النعمان فأعلمه أن ليس بينه وبين نهاوند أحد من المجوس ولا شيء يكرهه.

تقــدم:

نــادى النعمان في جيشه بالرحيل وأمرهم أن يسيروا على تعبئة. وبعث إلــى مجاشع بن مسعود من ورائه أن يتحرك من خلفهم مؤخرة لهم. وعلى الــرغم ممــا علمــه النعمان عن خلو الطريق من أمامه فقد كان يعلم أنه لم يستكشــف أجنابه ولذلك سار على تعبئة جاهزًا للالتحام إذا فاجأه ما ليس في علمه. فكان على مقدمته أخوه نعيم بن مقرن وعلى الميمنة حذيفة بن اليمان وعلى الميسرة أخوه سويد بن مقرن، وعلى الفرسان القعقاع بن عمرو وكانت مؤخرته من خلفه يسوقها مجاشع بن مسعود. وكان في هذا الجيش خيار جند الكوفة والبصرة وأهل المدينة، فيهم عبد الله بن عمر بن الخطاب وجرير بن عــبد الله البجلــي وجرير بن عبد الله الحميري وسويد بن مقرن ومعقل بن

مقـــرن ونعـــيم بن مقرن وربما كافة الأخوة أبناء مقرن، والقعقاع بن عمرو ومجاشـــع بـــن مسعود وبشير بن الخصاصية وحنظلة كاتب رسول الله ﷺ وكثيـــرون غيـــرهم من وجوه المسلمين وأعلامهم. وانتهوا في مسيرتهم إلى اسبيذهان وقد وقف المجوس أمامهم على تعبئة قبل واي خرد.

أي شيء سوى هذا الدين والجهاد في سبيله أتى بالنعمان وبإخوته الأبرار مـــن وادي القرى حيث مواطن مزينة إلى مدينة الرسول إلى بزاخة بني أسد وبطاح بني تميم ويمامة بني حنيفة إلى الأبلة والمذار والولجة وأليس والحيرة إلـــى غيـــر ذلك من مواقع العراق حتى القادسية والمدائن وكسكر والأهواز وأخيرًا أماكن اسمها اسبيذهان وواي خرد من أرض إيران!؟

جيش العجم:

كـــان فيرزان –قرين رستم عند الفرس– هو الذي يتولى قيادة جيشهم في نهاوند. وكان على ميمنته زردق وعلى ميسرته ذو الحاجبين وعلى فرسانهم أنوشـــق وقد حشد المجوس في جيشهم هذا كل من نجا من القادسية والمواقع بعدها وكل من غاب عنها من قوات الثغور وقاداتهم، فهذه حراب المسلمون تهـــتك قلب فارس وقد جاء النعمان بن مقرن يذكرهم سيرة الإسكندر الأكبر، ولـــذلك فقد كان جيشهم بالقادسية مائة وعشرين ألف مقاتل ولكن جيشهم في نهاونـــد بلـــغ مائة وخمسين ألف مقاتل. فلما صار أمامهم كبر النعمان وكبر المسلمون فاهتزت قلوب فيرزان ومن معه.

نزول وقتال:

أمـــر النعمان بحط الأثقال فحطت. ثم تسابق أشراف جيش الكوفة في[1] بـــناء فســـطاط النعمان بما يعكس لنا صورة من محبة هؤلاء لقائدهم الطيب الكـــريم ولقد أقاموه والنعمان واقف، فكان حذيفة بن اليمان وعقبة بن عمرو والمغيرة بن شعبة وبشير بن الخصاصية وحنظلة الكاتب وابن الهوبر وربعي

---

(1) الطبري 129/4.

بـــن عامر وعامر بن مطر وجرير الحميري والأقرع بن عبد الله الحميري وجرير البجلي والأشعث بن قيس الكندي وسعيد بن قيس الهمداني ووائل بن حجر، فلم يكن بناة فسطاط بالعراق كهؤلاء مكانة ولا أسرع إقامة.

ومـــا أن حطـــت الأثقـــال وتم نصب الفسطاط حتى أنشب النعمان القتال فاقتـــتلوا يومين في حرب سجال ثم لم يخرج المجوس من خنادقهم في اليوم الـــثالث. وقـــد وصـــف أحد الرواة[1] ذلك القتال فقال: "فلم أر والله مثل ذلك اليوم. إنهم ليجيئون كأنهم جبال حديد قد تواثقوا أن لا يفروا من الحرب وقد قـــرن بعضهم بعضًا (كل سبعة في قران)، وألقوا حسك الحديد خلفهم، وقالوا من فر منا عقره حسك الحديد".

صلح مع الماهين:

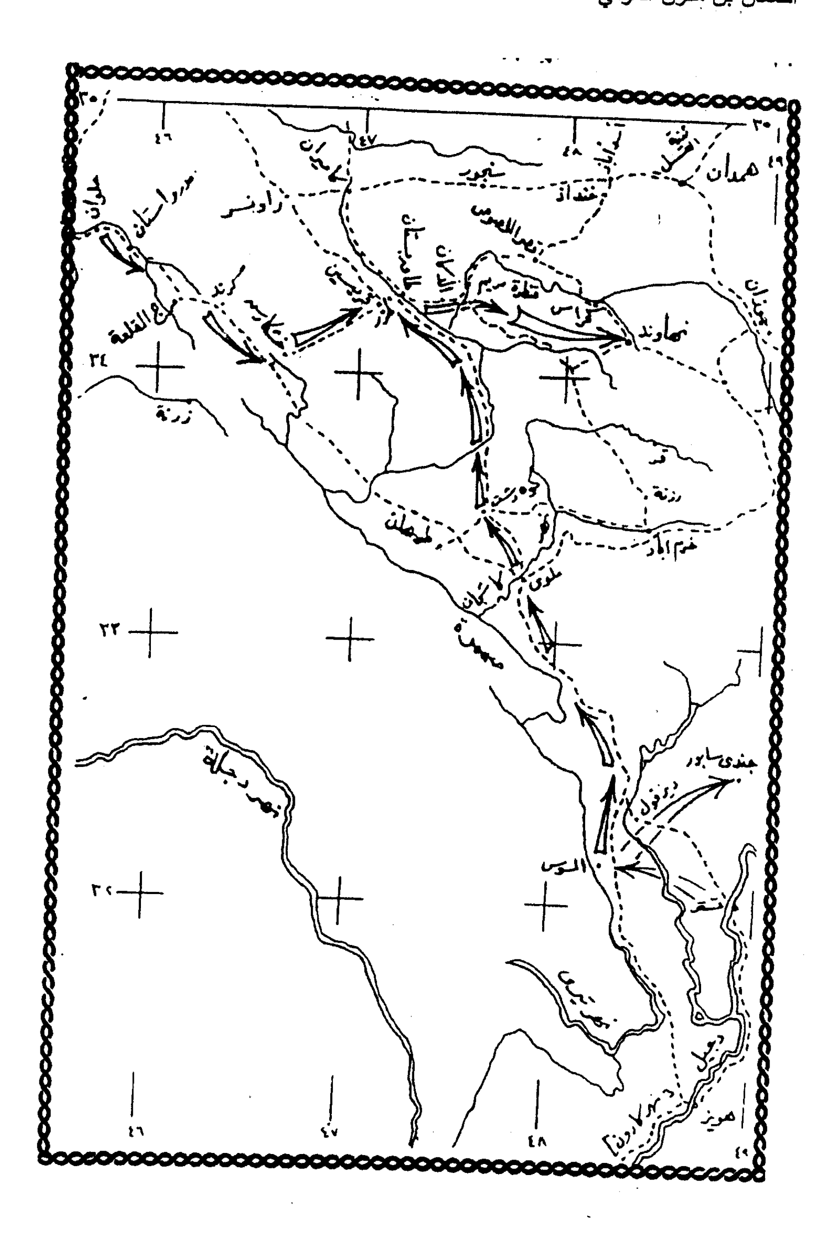
كانـــت نهاونـــد موقعًا على واد تتصل من خلفها بطريق إلى همذان في شـــمالها، فـــرابط المســـلمون أمامهـــا. وخرج جيش نهاوند ذات يوم فقاتل المسلمين ثم انهزم فتراجع وتبع سماك بن عبيد العبسي رجلاً منهم معه ثمانية فرســـان فبارزهم فما بارز أحدًا منهم إلا قتله حتى أتى عليهم ثم حمل على الذي كان معهم فأسره وأخذ سلاحه. فقال الرجل اذهبوا بي إلى أميركم حتى أصـــالحه على هذه الأرض وأؤدي إليه الجزية، وسلني أنت عن إسارك ما شـــئت وقـــد مننت على إذ لم تقتلني وإنما أنا عبدك الآن، وإن أدخلتني على الملك (يقصد قائده) وأصلحت ما بيني وبينه وجدت لي شكرًا وكنت لي أخًا.

فخلى سبيله وآمنه وقال له من أنت؟ قال أنا دينار (وكان ملك الإقليم في بيت دينار هذا من أسرة قارن). فأتى به حذيفة فحدثه دينار عن نجدة سماك وبطولـــته، وأعرب عن صلاح نظرته إلى المسلمين ثم صالحه على الخراج

([1]) الطبري 119/4 عن زياد بن حدير عن أبيه.

فنسبت إليه ماه لذلك وقيل لها "ماه دينار". وظل دينار بعد ذلك يصل سماك ويهدي إليه[1].

([1]) الطبري 135/4 – وفتوح البلدان 768.


همدان
نهاوند
سنجور
خنداذ
زاونسر
كرند
حلوان
القلعة
زرنة
قلعة سريم
رزنة
خرم اباد
السوس
جندى سابور
دزفول
نهر دجلة
نهر تيري
دجيل
هويز
٣٤
٣٢
٣٠
٤٦
٤٧
٤٨
٤٩

وكتب النعمان وحذيفة كتابًا لأهل الماهين:

"بسم الله الرحمن الرحيم".

1- هذا ما أعطى النعمان بن مقرن أهل ماه بهراذان.

2- أعطاهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأرضيهم.

3- لا يغيرون عن ملة ولا يحال بينهم وبين شرائعهم.

4- ولهم المنعة ما أدوا الجزية في كل سنة إلى من وليهم، على كل حالم في ماله ونفسه على قدر طاقته.

5- وما أرشدوا ابن السبيل واصلحوا الطرق وقروا جنود المسلمين ممن مر بهم فأوى إليهم يومًا وليلة، ووفوا ونصحوا. فإن غشوا وبدلوا فذمتنا منهم بريئة.

شهد عبد الله بن ذي السهمين والقعقاع بن عمرو وجرير بن عبد الله.

كتب في المحرم سنة تسعة عشر[1]".

وكتب حذيفة بن اليمان كتابًا آخر بنفس هذه البنود شهد عليه القعقاع ابن عمرو ونعيم بن مقرن وسويد بن مقرن.

مؤتمر حربي في نهاوند:

نشر العجم حسك الحديد حول مواقعهم والمسلمون لا يشعرون. وبعث النعمان كشافًا فغرزت حسكة في حافر فرسه فلم يبرح مكانه، ونزل الفارس فنظر في يد الفرس فوجد الحسكة بها فرجع بها وعرضها على النعمان[2] وكانت المبادأة في يد المجوس إن أرادوا الخروج إلى القتال خرجوا وإن لم يريدوا لم يكن للمسلمين معهم حيلة وكان ذلك في أول شتاء عام 640م وخاف المسلمون من زحف الشتاء عليهم وهم ثلاثون ألفًا في العراء والمجوس مائة وخمسون ألفًا في استحكامات جبلية محصنة.

([1]) الطبري 135/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن محمد والمهلب وطلحة.

([2]) الطبري 115/4.

عقــد النعمان مؤتمرًا حربيًا من أصحاب الرأي والنظر في جيشه وقال: "قــد ترون المشركين واعتصامهم بالحصون من الخنادق والمدائن، وأنهم لا يخــرجون إلا إذا شــاءوا ولا يقــدر المســلمون على أنغاضهم (إخراجهم) وانبعاثهم قبل مشيئتهم. وقد ترون الذي فيه المسلمون من التضايق بالذي هم فــيه وعلــيه مــن الخــيار عليهم في الخروج. فما الرأي الذي به نحمشهم ونستخرجهم إلى المنابذة وترك التطويل؟".

وبــدأ الحديث عمرو بن ثبي وهو أكبرهم فأشار بأن يتحصن المسلمون أيضًــا في مواقعهم وأن يطاولوا المجوس فمن خرج منهم من مواقعه قاتلوه. ورد المؤتمرون على عمرو رأيه وقالوا: "أنا على يقين من إنجاز ربنا موعده لنا".

ثــم تحــدث عمرو بن معدي كرب فكان رأيه مهاجمة العجم في خنادقهم وحصــونهم ومــرة أخرى يرفض المؤتمرون الفكرة وقالوا: "إنما تناطح بنا الجدران والجدران لهم أعوان علينا".

وكان ثالث المتحدثين طليحة بن خويلد الأسدي فخطأ الرأيين السابقين، ثم عرض خطة مؤداها أن يبعثوا فرسانًا تحتك بالمجوس ويرموهم بالنبل حتى يلتحموا بهم مبارزة بالكر والفر فإذا ما خرجوا التحم بهم كل جيش المسلمين.

استدراج:

مــن هــنا الــتقط الــنعمان الخيط ورسم العمل، فتقدم القعقاع بن عمرو بفرســانه نحو استحكامات المجوس وتحرش بهم ورماهم بنبله فانشب القتال بعد أن تمنعوا فترة. فلما خرجوا إليه والتحموا بدأ يتظاهر بالضعف ويتراجع أمــامهم فــي بــطء وعلى مراحل لا تنكشف بها الخطة، هذا في حين كان الــنعمان ينتقل بقواته يتراجع بها أيضًا خلف القعقاع. وأغرى هذا المجوس على إخراج مزيد من قواتهم، فمنذ معركة الجسر لم ينهزم المسلمون أمامهم وهم الآن يتراجعون أمامهم ليس فقط فرسانهم بل وكل معسكرهم.

القعقاع يسحب المجوس:

وفي الخلف عبأ النعمان كتائبه والقعقاع مازال يتراجع نحوه ويسحب في تراجعه جيش المجوس حتى ابتعدوا عن حصنهم. حدث هذا في ذات اليوم الذي عقدوا المؤتمر في صباحه، هذا ولم يكن ظهر اليوم جاء بعد. وأمر النعمان جنده أن يلزموا أماكنهم وألا يقاتلوا حتى يأمرهم. وأمطرهم المجوس بوابل من سهامهم والمسلمون يستترون بتروسهم قد كثرت فيهم الجراح ولا يتحركون امتثالاً لأوامر النعمان. وقالوا للنعمان: "ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما لقى الناس. فما تنتظر بهم؟ ائذن للناس في قتالهم". وهو يقول لهم: "رويدًا رويدًا" فأعادوا عليه القول وما يزيد عن قوله: "رويدًا رويدًا". وتذمر المغيرة بن شعبة فقال: "لم أر كاليوم فشلاً! أن عدونا يتركون يتأهبون ولا يعجلون. أما والله لو أن هذا الأمر إليّ لكنت قد أعجلتهم وعلمت ما أصنع، ولو كنت بمنزلتك باكرتهم القتال".

وكان النعمان رجلاً لينًا تظهر أخلاقه في قوله وفعله، فقال للمغيرة[1] "رويدًا ترى أمرك. وقد كنت تلي الأمر فتحسن، فلا يخذلنا الله ولا إياك. ونحن نرجو في المكث مثل الذي ترجو في الحث، ربما باكرت القتال ثم لم يسود الله وجهك، فالله عز وجل يشهدك أمثالها فلا يحزنك ولا يعيبك موقفك. إنه والله ما منعني من أن أناجزهم إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار لم يعجل حتى تحضر الصلاة (الظهر) وتهب الأرواح ويطيب القتال، فما منعني إلا ذلك"[2]. وانتظر النعمان حتى مالت الشمس عن وسط السماء فقال: "نصلي إن شاء الله ثم نلقي عدونا دبر الصلاة". فصلى جيش المسلمين ومازال القعقاع وفرسانه يقاتلون.

---

(1) الطبري 115/4، 131.

(2) حديث عن ابن عمرو ويقال أبو حكيم النعمان بن مقرن رضي الله عنه قال: شهدت رسول الله ﷺ إذا لم يقاتل من أول النهار أخر القتال حتى تزول الشمس وتهب الرياح وينزل النصر.. رواه أبو داود والترمذي وقالا حديث حسن صحيح.

توجيهات النعمان[1]:

كان النعمان يتحرك في نشاط وحماس ظاهر وهو يطوف بصفوف المسلمين على حصان أحمر يخالطه سواد كلون صدأ الحديد قصير القوائم قريب من الأرض وكان يقف على الرايات، راية راية، فيحمد الله ويثنى عليه ويقول: "قد علمتم ما أعزكم الله به من هذا الدين وما وعدكم من الظهور.

وقد أنجز لكم بَوَادي ما وعدكم وصدوره، وإنما بقيت أعجازه وأكارعه. والله منجز وعده ومتبع آخر ذلك أوله.

واذكروا ما مضى إذ كنتم أذلة وما استقبلتم من هذا الأمر وأنتم أعزة. فأنتم اليوم عباد الله حقًا وأولياؤه.

وقد علمتم انقطاعكم من إخوانكم من أهل الكوفة والذي لهم في ظفركم وعزمكم، والذي عليهم في هزيمتكم وذلكم. وقد ترون ما أنتم بإزائه من عدوكم وما أخطرتم وما أخطروا لكم.

فأما ما أخطروا (راهنوا) لكم فهذه الرثة وما ترون من هذا السواد.

وأما ما أخطرتم لهم فدينكم وبيضتكم.

ولا سواء ما أخطرتم وما أخطروا.

فلا يكونن على دنياهم أحمى منكم على دينكم.

وأتقى الله عبد صدق الله وأبلى نفسه فأحسن البلاء.

فإنكم بين خيرين، منتظرين إحدى الحسنيين، من بين شهيد حي مرزوق أو فتح قريب وظفر يسير.

فكفى كل رجل ما يليه ولم يكل قرنه إلى أخيه فيجتمع عليه قرنه وقرن نفسه وذلك من الملأمة، وقد يقاتل الكلب عن صاحبه، فكل رجل منكم مسلط على ما يليه. فإذا قضيت أمري فاستعدوا فإني مكبر ثلاثًا.

---

(1) الطبري 131/4.

فإذا كبرت التكبيرة الأولى فشد رجل شِسْعه (رباط خفه) وأصلح من شأنه وليتهيأ من لم يكن تهيأ.

فـــإذا كبرت الثانية فشد رجل إزاره وليشد عليه سلاحه وليتأهب للنهوض ويتهيأ لوجه حملته.

فإذا كبرت الثالثة فإني حامل إن شاء الله، فاحملوا معًا.

"اللهم أني أسألك أن تقر عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، وذل يذل به الكفار، ثم اقبضني إليك بعد ذلك على الشهادة، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك. أمِنوا يرحمكم الله".

فأمن المسلمون وبكوا[1].

شهيد نهاوند:

وقـــف الـــنعمان في موضعه من قلب جيشه. ثم أطلق التكبيرة الأولى ثم الثانـــية ثم الثالثة. ومع التكبيرة الثالثة اندفع نحو صفوف المجوس وكانوا قد ربطـــوا أنفسهم بالسلاسل حتى لا يفروا. كان النعمان يحمل الراية وقد رآها المســـلمون تـــنقض نحـــو المجوس انقضاض العقاب. وكان ﷺ مميزًا بقباء أبيض[2] وقلنسوة بيضاء. فحملوا جميعًا حملة رجل واحد.

يقـــول جبيـــر الراوية: "فوالله ما علمت من المسلمين أحدًا يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر.

فحملـــنا حملـــة واحدة وثبتوا لنا فما كنا نسمع إلا وقع الحديد على الحديد حتـــى أصـــيب المســـلمون بمصائب عظيمة. فلما رأوا صبرنا وأنا لا نبرح العرصـــة انهزموا فجعل يقع الواحد فيقع عليه سبعة بعضهم على بعض في قياد فيقتلون جميعًا. وجعلوا يعقرهم حسك الحديد الذي وضعوه خلفهم".

([1]) الطبري 131/4.

([2]) الطبري 132/4.

ولـــم يسمع السامعون بوقعة يوم قط كانت أشد منها. واستمر القتال حتى حلـــول الظـــلام وكثر القتلى من المجوس حتى غطوا ميدان المعركة وكان الـــناس والخيول ينزلقون فيه من دمائهم. وزلق فرس النعمان فلقي النعمان مصـــرعه. ويذهب ابن اسحق وجبير أبو زياد إلى أنه رمى بنشابة أصابت خاصرته فقتلته.

كان نعيم بن مقرن هو قائد المقدمة، وكانت المقدمة عند الالتحام تدخل مع القلـــب، فكان نعيم بحكم وضعه قريبًا من أخيه النعمان فرأى ما كان. وأقبل نعـــيم فحمل الراية من يد النعمان قبل أن تقع على الأرض، وسجى النعمان الشهيد بثوب ثم أتى حذيفة بن اليمان في الميمنة باعتباره خليفة أخيه النعمان فسلمه الراية.

حمل حذيفة الراية وترك قيادة الميمنة لنعيم بن مقرن واتجه هو إلى القلب فأقام اللواء. وقال له المغيرة بن شعبة وقد كان يعلم مكانة النعمان عند جنده: "اكتموا مصاب أميركم حتى ننظر ما يصنع الله فينا وفيهم لكيلا يهن الناس".

وازداد اللـــيل ظلامًـــا وكان المسلمون أصبر على القتال فانكشف العجم وتـــراجعوا واستمر المسلمون يضغطون عليهم فالتبس عليهم طريقهم فوقعوا فـــي اللِّهْب، ولعله كان خندقًا عميقًا، كلما وقع فيه منهم أحد صاح بالفارسية، وايهْ خرد، وبذلك سمي المكان إلى قرون بعدها فقتل منهم فيه أكثر من مائة ألـــف سوى من قتل في القتال. وذكر بعض الرواة أنه قتل في اللهب ثمانون ألفًـــا وفـــي المعـــركة ثلاثـــون ألفًا مقترنون في السلاسل سوى من قتل في المطاردة[1].

أين أميرنا؟

انتهت المعركة وتلفت المسلمون ثم راحوا يتساءلون: "أين أميرنا؟"

([1]) الطبري 136/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي.

قال معقل بن مقرن المزني: "هذا أميركم قد أقر الله عينه بالفتح وختم له بالشهادة".

فبايع الناس حذيفة بينما عمر بالمدينة يستنصر الله لهم ويدعو "مثل الحبلي"![1].

يقول معقل بن يسار: "فأتيت النعمان وبه رمق فغسلت وجهه من أداوة ماء كانت معي. فقال من أنت؟".

قلت: معقل.

قال: ما صنع المسلمون؟

قلت: أبشر بفتح الله ونصره.

قال: الحمد لله، اكتبوا إلى عمر.

وتحت ثرى نهاوند رقد النعمان. وقبره هناك بموضع يقال له أسفيذبان[2].

وأفلت فيرزان ومن شرد منهم. وإزاء كثرة قتلاهم رأوا أنهم لن يحتفظوا بنهاوند فهربوا إلى همذان شمالي نهاوند بحوالي مائة كيلو متر.

مطاردة:

وعاد نعيم بن مقرن المزني يقود المقدمة في مطاردة من فر من المجوس وخرج معه القعقاع بن عمرو بفرسانه فجعله نعيم أمامه. وأدرك القعقاع فيرزان عندما بدأ طريق همدان يصعد في الجبل. وتصادف مرور قافلة من البغال والحمير المحملة بالعسل فعاقت هرمزان فنزل عن جواده وصعد يجري بين صخور الجبل، ونزل القعقاع أيضًا عن جواده وأدركه فقتله، وغنم المسلمون القافلة. ولم يجد خسرو شنوم حاكم همذان من يدافع به عن المدينة سوى الفلول المنهزمة فاستسلم للمسلمين على شرط الأمان، فنزلها نعيم بن مقرن والقعقاع بن عمرو في قواتهما.

---

(1) فتوح البلدان 760.

(2) قادة فتح فارس 105.

عمر يبكي النعمان:

غـــنم المســـلمون كل ما حوت نهاوند وكل ما كان حولها وكان فيها كنز لكسرى من الجواهر كان يعده لنوائب الزمن. وكان نصيب الفارس من تلك الغنائم ستة آلاف درهم، وسلم حذيفة الأنفال إلى السائب بن الأقرع فخرج بها إلى عمر.

ولما قدم السائب إلى المدينة قال له عمر: "ما وراءك؟".

قال: البشرى والفتح.

قال: ما فعل النعمان؟

قال: زلق فرسه في دماء القوم فصرع فاستشهد رحمه الله.

يقول السائب: فقال عمر: إنا لله وإنا إليه راجعون، ثم بكى فنشج حتى أني لأنظر إلى فروع منكبيه من فوق كتده. قال: ومن ويحك؟

يقـــول السائب: فلما رأيت ما لقي، قلت: والله يا أمير المؤمنين ما أصيب بعده من رجل يعرف وجهه!!!

فقال عمر وهو يبكي: المستضعفون من المسلمين؟ لا يضرهم ألا يعرفهم عمـــر، ولكن الذي أكرمهم بالشهادة يعرف وجوههم وأنسابهم. وما يصنعون بمعرفة عمر بن أم عمر؟!

ثم صعد عمر المنبر فنعى إلى المسلمين النعمان. قال إياس[1] بن معاوية: قـــال لي سعيد بن المسيب: ممن أنت؟ قلت رجل من مزينة، فقال سعيد: إني لأذكر يوم نعى عمر بن الخطاب النعمان بن مقرن على المنبر[2] ووضع يده على رأسه وبكى.

وكـــان أبـــو لؤلـــوة مولى المغيرة بن شعبة من أهل نهاوند وكان الروم أســـروه في حربهم مع فارس، ثم أسره المسلمون من الروم فكان في المدينة

([1]) الطبقات الكبرى 11/6.

([2]) أسد الغابة 5261.

حـــين قدم إليها سبي نهاوند، فكان لا يلقى منهم صغيرًا إلا مسح رأسه وبكى وقال: "أكل عمر كبدي"[1] أبو لؤلوة هذا هو الذي اغتال عمر بن الخطاب بعد ذلك عام 23هـــ.

الانسياح في أرض المجوس:

كانت معركة نهاوند أول موقعة بعد قرار عمر بمتابعة الفتوح في الشرق حتـــى يتم القضاء على يزدجرد وتصفية الكسروية. وقد تم تقسيم الفتوح بين قاعدة البصرة وقاعدة الكوفة مع تنسيق التعاون بينما. وعقد عمر الألوية لهذه البعوث على النحو الآتي:

من البصرة:

1- لواء خراسان إلى الأحنف بن قيس التميمي.

2- لواء أردشير خرة إلى مجاشع بن مسعود السلمي.

3- لواء اصطخر إلى عثمان بن أبي العاص الثقفي.

4- لواء كرمان إلى سهيل بن عدي.

5- لواء فساودرابجرد إلى سارية بن زنيم الكناني.

6- لواء سجستان إلى عاصم بن عمرو التميمي.

7- لواء مكران إلى الحكم بن عمير.

من الكوفة:

8- لواء أذربيجان إلى بكير بن عبد الله وعتبة بن فرقد.

9- لواء الباب "على الساحل الغربي لبحر قزوين" إلى عمر بن سراقة.

10- لواء أصفهان إلى عبد الله بن عبد الله بن عتبان.

وألوية أخرى من الكوفة لمعاونة ألوية البصرة فيما وكل إليها.

هذا هو ما عبر عنه الرواة والمؤرخون بـــ "الانسياح". ولسنا هنا بصدد دراســـة عـــن حـــركة الفتوح، فقد خصصنا لذلك المبحث الأم "الطريق إلى

---

(1) الطبري 136/4 عن السري عن شعيب عن سيف عن عمرو بن محمد عن الشعبي.

المـــدائن"، و "القادسية" و "سقوط المدائن ونهاية" الدولة الساسانية وإنما الذي يهمنا في موضوعنا هو تتبع الإخوة الأبرار بعد أخيهم الشهيد النعمان.

فـــبعد أن استســـلمت همـــذان لنعيم بن مقرن وصالحت ودخلت في ذمة المسلمين عادت فانتقضت. فأرسل إليهم عمر لواء تعداده اثني عشر ألفًا من أهـــل الكـــوفة عليه نعيم بن مقرن المزني مرة أخرى. وأخضع نعيم همذان وهزم جمعًا كبيرًا من الفرس، فأمر عمر أن يسير من همذان إلى الري على السفوح الجنوبية للجبال الممتدة جنوبي بحر قزوين بحذاء ساحله.

وخـــرج نعـــيم فـــي جيشه إلى واج روذ بأرض همذان حيث هزم حشدًا للمجوس ومنها سار إلى دستبي ثم إلى الري وقد جمع له العجم جمعًا جعلوا قيادته إلى زنبدي. ولكن زنبدي وقد رأى انتصار المسلمين واستطراد ظفرهم آثـــر الســـلامة فلقـــي نعـــيم مسالمًا في قها ومخالفًا بذلك أوامر ملك الري سياوخش بن مهران.

وجمع سياوخش جموعًا من دنباوند وطبرستان جنوبي بحر قزوين ومن قومس ومن جرجان، والتقى نعيم بهذه الحشود على سفوح جبل الري فهزمهم وسقطت الري في يده. وكتب نعيم بالفتح إلى عمر. حينذاك كان بكير بن عبد الله يســـير مـــن حلـــوان إلى شرق أذربيجان وكان عتبة بن فرقد يسير من الموصل إلى غرب أذربيجان.

فكـــتب عمر إلى نعيم بن مقرن أن يبعث إلى أذربيجان مددًا لبكير يقوده ســـماك بـــن خرشة. ولما بلغ بكير جرميذان في طريقه إلى أذربيجان التقى باســـفندياذ بن فرخزاد وكان نعيم قد هزمه في واج روذ وهو في طريقه إلى الـــري، فالتحم به بكير وهزمه مرة أخرى وأسره ثم تقدم إلى ما حدد له من أذربيجان فافتتحها.

وعـــاد عمر يكتب إلى نعيم أن يبعث أخاه سويد بن مقرن على تعبئة من الري إلى قومس. وسار سويد فلم يعترضه أحد فاستولى عليها بدون قتال. ثم سار منها إلى جرجان فصالحه أهلها عام 22هـــ على ما نختاره ونذهب إليه

وهناك رواية بأن ذلك كان عام 18هـ ورواية أخرى بأنه كان عام 30هـ. ثم كتب صاحب طبرستان وجيلان إلى سويد يطلب صلحه والدخول في ذمته فصالحه سويد(1).

بقية من أخبارهم:

عقيل:

نــزل الكوفة وكان يكنى أبا حكيم(2). كما كان له ابن يدعى عبد الرحمن وقد كان من الصحابة(3).

معقل:

ســكن الكوفة وروى عن النبي ﷺ. وكان يكنى أبا عمرة، كما وأنه كان أبــا عــبد الله بــن معقل. وقد جاء في الإصابة عبد الله بن مغفل بن مقرن المزني، ونحسبه خطأ وصوابه عبد الله بن معقل فلم يكن بين الإخوة المزنيين من كان يسمى مغفل. وقد كانت له ذرية بالكوفة بعد ذلك.

وقد ذكر ابن حزم(4) أنه كان لمعقل عبد الله وعبد الرحمن وكانا محدّثين، وأن عبد الله بن الوليد بن عبد الله بن معقل كان محدثًا أيضًا.

مرضي:

جــاء بالآثــار أن سراقة بن عمرو كتب عهدًا لأهل الباب شهد فيه عبد الرحمن بن ربيعة وبكير بن عبد الله وأن الذي كتب الكتاب كان مرضي بن مقــرن. ولا نحسبه كان في جيش فتح الباب من بادئ الأمر وأغلب ظننا أنه كــان مــع بعــض الأمداد التي بعث بها أخوه نعيم بن مقرن من الري إلى آذربيجان.

سويد:

---

(1) تفاصيل تلك الفتوح عرضنا لها في كتابنا سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية.

(2) الطبقات الكبرى 11/6.

(3) الإصابة 5169.

(4) جمهرة أنساب العرب 202.

توفـــى ســـويد بـــن مقرن بالكوفة ويذهب ابن حزم إلى أنه استشهد في نهاونـــد[1] مع النعمان. وذكر ابن سعد[2] أنه كان يكنى أبا عدي غير أن ابن الأثير وابن حجر وأبا عمر لم يذكروا عديًا فيما أوردوا من تراجم. وقد روى الحـــديث عـــن سويد ابنه معاوية ومولاه أبو شعبة وهلال بن يساف وأخرج حديثه مسلم وأصحاب السنن. وفي النسائي والضياء عن سويد بن مقرن أن رســـول الله ﷺ قـــال: "**من قتل دون مظلمته فهو شهيد**". وقد ذكر بعضهم معاوية بن سويد في الصحابة[3].

وروى عن معاوية بن سويد أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "**من قال لأخيه يـــا كافر فقد باء به أحدهما**"، ولكن معاوية مشهور في التابعين، وحديثه عن أبيه وعن البراء بن عازب في صحيح مسلم وغيره"[4].

النعمان:

إذا أردنـــا أن نتخيل صورة لبطلنا النعمان لكان علينا أن نتصوره أسمر البشرة جسيمًا قويًا ذا مهابة لا يقل عن الأربعين من عمره يوم نهاوند إن لم يكـــن أكثر بغير حدود تعيننا على تحديده، شجاعًا متواضعًا غالبًا طيبًا لينًا ذا عقل وفكر ورأي وبصر بالأمور محبًا لإخوانه في الجهاد[5].

ولقـــد كـــان النعمان يكنى أبا عمرو ولا ندري أن كان للنعمان ولد غير عمـــرو إذ لـــم نوفق في العثور على ما يقطع لنا بهذا، وفي بعض الروايات يقال عن النعمان أبو حكيم[6]، ولم نعثر فيما رجعنا إليه على أي ذكر لحكيم بن النعمان، ولكن يبدو أنه كان هناك حكيم بن عقيل بن مقرن. كذلك لم نعثر

---

(1) جمهرة أنساب العرب 202.

(2) الطبقات الكبرى 11/6.

(3) أسد الغابة 4976.

(4) وحديث من قال لأخيه يا كافر فقد باء به أحدهما، أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة.

(5) الإصابة 1071.

(6) رياض الصالحين 485 عن أبي داود والترمذي.

على ما يلقي لنا الضوء على أي معلومات عن زوجه أو زوجاته إن كان له. وعمرو بن النعمان كان من الصحابة ولو أن بعضهم يشك في ذلك ويرى أن حديثه عن الرسول ﷺ كان مرسلاً[1]. ولقد روى النعمان عن النبي ﷺ ستة أحاديث[2].

ومن حديث عمرو بن النعمان: انتهى رسول الله ﷺ إلى مجلس من مجالس الأنصار، وكان رجل من الأنصار يعرف بالبذاء ومسابة الناس، فقال رسول الله ﷺ: "**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**"[3] قال الرجل: والله لا أسابّ رجلاً أبدًا. وما دام عمرو قد روى هذا الحديث فإنه يدلنا بلا ريب على شيء من أدب عمرو وتستطيع أن نذهب إلى أنه ما كان يسب أحدًا أو يقاتل مسلمًا. كذلك نلحظ أنه ﷺ حين يحيط حديث الرسول بمناسبته فقد أسقط ذكر الأنصاري باسمه سترًا له عما يسئ إليه وحتى لا يشهر به، وهو أدب جميل لا غرابة أن يكون قد اكتسبه من صفات أبيه العظيم.

وقد أخرج ابن أبي شيبة من طريق معاوية بن قرة قال: كنت نازلاً على عمرو بن مقرن، فلما حضر رمضان أتاه رجل بكيس دراهم فقال: إن الأمير مصعب بن الزبير يقرئك السلام ويقول: لم يدع قارئًا إلا وقد وصل إليه منا معروف فاستعن بهذا، فقال: "قل له والله ما قرأنا القرآن نريد به الدنيا. وردّه عليه"، وهذه مناسبة أخرى تلقي مزيدًا من الضوء على صفات هذا الرجل الكريم، فقد كان حافظًا للقرآن لا يبتغي به إلا وجه الله، ثم كان كريمًا مضيافًا.

---

(1) الحديث المرسل هو ما سقط من سنده الصحابي.

(2) قادة فتح فارس 106 عن أسماء الصحابة الرواة لابن حزم.

(3) حديث سباب المسلم فسوق وقتاله كفر أخرجه البخاري ومسلم عن عبد الله بن مسعود.

ولقـد روى عمـر بن النعمان عن رسول الله ﷺ أنه قال: "**إن الله تعالى لـيؤيد الدين بالرجل الفاجر**"[1]. وعنه أن رسول الله ﷺ قال: "**لا يحل لرجل أن يروع مسلمًا**"[2].

وبعد:

لقد لقي النعمان ربه شهيدًا في سبيله، وللشهيد عند الله فضائل كثيرة كبيرة ذكرها الله ورسوله. من ذلك ما رواه الترمذي وابن ماجه عن المقدام بن معدي كرب قال: قال رسول الله ﷺ: "**للشهيد عند الله ست خصال: يغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منها خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**"[3]. وقال تعالى في سورة آل عمران: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَـٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾﴾[آل عمران:169-173]. وقال:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ

---

(1) الكنز الثمين 721 عن المعجم الكبير للطبراني.

(2) الكنز الثمين 4444 عن المعجم الكبير للطبراني.

(3) القرطبي – تفسير آل عمران 171.

مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ ﴾ [التوبة: 111].

رحم الله النعمان ورضي عنه وألحقنا به مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقًا.

المراجع

القرآن الكريم:

الجامع لأحكام القرآن — القرطبي

تفسير القرآن العظيم — ابن كثير

الطريق إلى المدائن — أحمد عادل كمال

القادسية — أحمد عادل كمال

سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية — أحمد عادل كمال

تاريخ الأمم والملوك — الطبري

فتوح البلدان — البلاذري

أيام العرب في الجاهلية — محمد أحمد جاد المولى، على البجاوي
محمد أبو الفضل

إيران في عهد الساسانيين — آرثر كريستنسن

إمتاع الأسماع — المقريزي

الكامل في التاريخ — ابن الأثير

أسد الغابة — ابن الأثير

الإصابة — ابن حجر العسقلاني

الاستيعاب — يوسف بن عبد البر القرطبي

سير أعلام النبلاء — الذهبي

الطبقات الكبرى — ابن سعد

المسالك والممالك — الاصطخري

المسالك والممالك — ابن خرداذبه

الخراج وصنعه الكتابة — قدامة بن جعفر

معجم البلدان — ياقوت الحموي

الجامع الصحيح — البخاري

الكنز الثمين

المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية	ابن حجر
رياض الصالحين	النووي
جمهرة أنساب العرب	ابن حزم
بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب	محمود شكري الألوسي
معجم القبائل العربية القديمة والحديثة	عمر رضا كحالة
محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية	محمد الخضري
الرسول القائد	محمود شيت خطاب
قادة فتح فارس	محمود شيت خطاب
الرسول العربي وفن الحرب	مصطفى طلاس
خريطة العراق الأثرية	مديرية الآثار العراقية ببغداد
خريطة قضاء النجف	مديرية الآثار العراقية ببغداد
خريطة الشرق الأوسط	جون بارثلميو ولده ليمتد- أدنبرج

فهرس

محتويات الكتاب

مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية

مؤسســـة فكــرية إسلامية متخصصة أنشئت وسجلت في القاهرة بجمهورية مصر العربية لتعمل على

- إبـــراز القواعد والمبادئ التي تضمنتها الشريعة الإسلامية وتيسيرها على الباحثين .
- إجراء الدراسات المقارنة بين أحكام الفقه الإسلامي والنظم الوضعية .
- صـــياغة العقود الشرعية صياغة جديدة يتوفر فيها البعد عن الربا والغرر الفـــاحش، وتكـــوين العقود المتفقة والمتوائمة مع حاجات العصر ومتطلباته وسرعة وضخامة تعاملاته .
- الإسهام في تطوير بحوث الاستثمار المصرفي .
- الاهتمام بنشر وطباعة الكتب التراثية الهامة بتحقيقها ودراستها .
- إعـــداد الأدوات والأعمال البحثية لتدعم جهود علماء الشريعة والاقتصاد، والقانـــون، وكافـــة العلـــوم الإســـلامية الأخـــرى وإعداد الأدلة والكشافات والببلوجرافيات والفهارس والملخصات، وتوفير قاعدة بيانات حديثة ومتجددة في كافة المجالات التي تخدم أهداف الشريعة والاقتصاد والبنوك الإسلامية.

ويستعين المركز لتحقيق أهدافه بوسائل عديدة منها :

1- عقد المؤتمرات والندوات العلمية والفكرية المتخصصة .

2- التعاون مع المراكز البحثية المتخصصة في جميع أنحاء العالم .

3- الاهـــتمام بإحـــداث تواصل بين المهتمين بالعلوم الاجتماعية والإنسانية ودارســـي العلـــوم الشـــرعية باعتبارهم المهتمين بإيقاع النص على الوجود وإحداث الصلة المطلوبة بينهما .

4- تقديم المشورة العلمية للراغبين من دارسي الماجستير والدكتوراه.

5- يوفر المركز مكتبة علمية موزعة على كافة العلوم والمعارف الإنسانية، وكـــذلك دوريات عربية، ورسائل ماجستير ودكتوراه، وهي متاحة للباحثين

والدارســـين من شتى بقاع المعمورة بدون رسوم أو اشتراكات طوال اليوم، والمكتبة يتوفر بها عدد من المصنفات النادرة .

6- يتمتع المركز بعلاقات جيدة مع عدد كبير من العلماء المهتمين بالتأصيل الإسلامي للعلوم في العالم .

والمركــز يأمـــل بعون الله تعالى أن تكون له فروع في جميع أنحاء العالم، وليمارس من خلالها أنشطته المختلفة، كما يأمل أن يكون هناك أوجه تعاون مع المراكز البحثية المتخصصة في جميع دول العالم .

عنوان المركز: الإدارة 13 ش مرقص حنا متفرع من ش شاهين العجوزة – القاهرة – جمهورية مصر العربية – تليفاكس 7498853

E-Mail: CLES@internetegypt.com